مذكرات

مغتربة في سنغافورة

سلوى الحمامصي

الكتاب: مذكرات مغتربة فى سنغافورة

الكاتب: سلوى الحمامصي

الطبعة: ٢٠٠٩

الناشر :وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم - الوحدة العربية - مدكو ر-الهرم - الجيزة
جمهورية مصر العربية
هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ - ٣٥٨٦٧٥٧٦ - ٣٥٨٦٧٥٧٥
فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

http://www.apatop.com E-mail: news@apatop.com

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة : لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أوتخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

دار الكتب المصرية
فهرسة إثناء النشر

الحمامصي ، سلوى .
مذكرات مغتربة فى سنغافورة / سلوى الحمامصي –الجيزة –
وكالة الصحافة العربية، ٢٠٠٩.
ص، سم.
تدمك: ٣– ١٥٣–٤٤٦– ٩٧٧ – ٩٧٨
١– سنغافورة– وصف ورحلات
أ – العنوان ٩١٥.٩٢ رقم الإيداع / ١٤٤٤٤

مذكرات

مغتربة في سنغافورة

وكالة الصحافة العربية
«ناشرون»

إهداء

إلى ابتسامة حياتي.. أمي
إلى نصفي قلبي.. كريم وآمن
إلى توأم روحي.. أحمد

تقديم

الأرض غير الأرض

السماء غير السماء

جميلة يا سنغافورة

لكن بلادي أجمل.

١- في الرحلة إلى سنغافورة

لم تكن المرة الأولى التي أركب فيها الطائرة، فقد سبق وسافرت عدة مرات لمرافقة زوجي في بعثته للعمل كدبلوماسي في سفارة مصر بالرياض، عاصمة المملكة العربية السعودية لمدة أربع سنوات، ولا أدعي شجاعتي في ركوب الطائر، وإن كان بحوزتي بعض الشجاعة الصورية المؤقتة، فأستطيع مثلاً تمالك نفسي لمدة ثلاث ساعات تقريباً، هي مدة الرحلة من الرياض إلى القاهرة.

أما اليوم ١٤ من سبتمبر ٢٠٠١، فالجهة المقصودة مختلفة تماماً، من حيث المسافة ومدة الرحلة ١١ ساعة ونصف دون "ترانزيت"، الذي قد يميزها ٤ ساعات أخريات، كان علي السفر إلى سنغافورة بجنوب شرق آسيا، حيث تحتم على زوجي السفر إلى هناك منذ ثلاثة أسابيع سابقة لتسلم مهام عمله في السفارة المصرية بسنغافورة، وكان من الأفضل لنا كما تعّودنا أن نلحق به بعد أن ينجح في إيجاد السكن المناسب.

قبل الرحلة بيومين أو ثلاثة، وقعت أحداث ١١ سبتمبر الشهيرة، وتم تفجير مبني التجارة العالمي بنيويورك بالطائرات، ولك أن تتخيل وقع الخبر على إنسان يخشى الطائرات بطبيعته !

كان الجميع في حالة من القلق من رد الفعل الأمريكي.

كنت أفكر فيما لو فكرت أمريكا بالرد، ووجهت قذائفها إلى أفغانستان حيث ستحلق طائرة سنغافورة فوق هذه الأجواء؟ بالطبع تفكير أناني، أفكر في نفسي بالدرجة الأولى، وبالأفغان المساكين بالدرجة الثانية. وبالفعل اتصلت بشركة مصر للطيران، فطمأنني أحدهم بأن الطائرة بالفعل ستغير مسارها الجوي إلى أجواء آمنة.

ذهبت إلى المطار فجر ذلك اليوم ١٤ من سبتمبر ١٩٩١، بعد أن قرأت سورة يس مرة في منزلي، ومرة في طريقي إلى مطار القاهرة، ومرة ثالثة داخل قاعة انتظار الطائرة، ومرة رابعة على متن الطائرة، وقرأت معها عدة كتيبات أدعية للحفظ والستر، ناهيك عن دعاء السفر والآية التي تقال عند اهتزاز الطائرة.. قال تعالى:(وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه، سبحانه وتعالى عما يشركون) سورة الزمر: آية ٦٧.

كانت الحركة في مطار القاهرة القديم هادئة، الصمت يعم المكان، الساعة الثانية والنصف صباحاً، أحاول تنبيه ولَدَيَّ من حين لآخر؛ حتى لا ينعسان قبل الصعود إلى طائرة مصر للطيران، أتفحص وجوه المسافرين الواجمة، وقد كساها الخوف من ركوب الطائرات بعد أحداث اصطدام أربع طائرات بمبني التجارة العالمي بأمريكا، أو هكذا خُيل لي.

ركبنا الطائرة أخيراً قبيل دخول وقت الفجر بلا نوم سابق، وعلى متنها أخذت أتفرس في الوجوه جيداً، لعلى أجد عربية أو مصرية تؤنس وحدتي طوال الرحلة دون جدوى، تحولت طائرة مصر للطيران إلى طائرة خطوط أجنبية، أغلب الركاب أجانب متجهين إلى أستراليا كما عرفت فيما بعد.

جاري في المقعد في الصف المجاور كما بدى لي أسترالى الجنسية، ناولته المضيفة كيساً بلاستيكياً فيه أشياء سوداء اللون، وأعطتني مثله، تأملته، وهو يخرج فردتي جوارب قطنية يرتديهما في قدميه، بمهارة المعتاد على السفر بعدما خلع حذاءه، يتناول عصابة قطنية سوداء يغطي بهما عينيه، وتمتد يده لتسحب غطاءً قطنياً آخر، طُبع عليه شعار مصر للطيران يتدثر به، ينزلق في مقعده بعد أن يرجعه للوراء قليلاً، ويغُط في نوم عميق، وكذلك فعل بقية الركاب عدا أنا وأولادي.

أستمر في تلاوة آيات القرآن حتى يجف ريقي، يغفو أولادي ثم أغفو أخيراً، لا ألبث إلى النوم وأتنبه على اهتزاز شديد –أو ربما كان عادياً، للطائرة – "أوشك على أن أموت في جلدي"، يتململ ابني الصغير "آمن" ويسألني في براءة: (هي الطيارة هتقع يا ماما؟)

أبتسم له، وأربت على صدره مطمئنة إياه: (لا يا حبيبي، ده الهوا بس بيهزها، وربنا معانا).

نصل إلى مطار سنغافورة، قبل أن يجف دمي تماماً، أحمد الله.

٢- جنة بلا ناس

نبذة عن سنغافورة:

إذا حاولت أن تبحث عنها في خريطة العالم فستجدها لا تعدو سوى نقطة شديدة الصغر جنوب ماليزيا، فهى دولة مكونة من جزيرة صغيرة في بحر الصين، جنوب القارة الأسيوية، إلا أنها تعتبر من النمور الأسيوية الثرية ذات الثقل الاقتصادي القوي في محيط التجارة العالمي.

تمكّنت "سنغافورة" تلك الدولة الصغيرة ذات المدينة الواحدة، من بناء اقتصاد قوي خلال العقود الثلاثة الماضية، منذ استقلت عن ماليزيا عام ١٩٦٥، وهى من أكبر المراكز التجارية العالمية ومن أقوى الأنظمة الاقتصادية الأسيوية، حيث يبلغ الناتج القومي حوالى ١٥٣.٨ مليار دولار سنغافوري – أي ما يعادل ٩١ مليار دولار أمريكي –وفقاً لعام ٢٠٠١.

سنغافورة أيضاً من أكبر منافذ الشحن الدولية، ومن أعظم الموانيء في العالم، ولديها خبرات عظيمة في مجال إدارة الموانيء، وفقاً لأحدث التقنيات الحديثة التي تعتمد بالدرجة الأولى على الحسابات الآلية، (وما أكثر موانينا المصرية والعربية !!)

تتم جميع الإجراءات في موانيها باستخدام نظام إلكتروني، عن طريقه يتم التحكم عن بعد في حاويات السفن العملاقة، فيتم نقلها إلى أرصفة الميناء وتفريغها بمعاونة عدد قليل للغاية من العمال.

سنغافورة أيضاً من أكبر مراكز تصنيع أجهزة الحاسب الألي وبرامجه المتنوعة، ومن أجمل مناطق الجذب السياحي في العالم، حيث يصلها سنوياً نحو ٩ مليون سائح من مختلف الأنحاء – وعندما انخفض العدد إلى ٧ مليون سائح في أحد الأعوام، راجع المسئولون أنفسهم وبرامجهم بحثاً عن السبب، وستندهش عندما تعرف أن عدد سكانها يبلغ نحو ٤ مليون نسمة، وأن مساحتها لا تعدو ٦٥٠ ألف كيلو متر مربع. أما سكانها فهم من ثلاثة أعراق، ٧٦% منهم صينيون ، و١٣.١٩% ماليزيون، و٧.٣٩% من الهنود، والنسبة الباقية من الأجانب المقيمين.

اكتشفها الماليزيون في القرن الثالث الميلادي، وأطلقوا عليها سينجابورا (سينجا: أسد باللغة الصينية، بورا: مدينة، فيكون معنى التسمية سينجابورا: مدينة الأسد) ويروي التاريخ السنغافوري أن سلطاناً ماليزياً اكتشفها عندما رست سفينته عليها يلتمس بعض الراحة من رحلته فأعجبته الجزيرة، ثم ظهر له أسد فيها، وكانوا يرونه لأول مرة فأطلقوا عليها تسمية سينجابورا أي مدينة الأسد، ثم طهرها جنود السلطان بعد ذلك من الحيوانات المفترسة واتخذ بها مقراً لمملكته الماليزية، ثم اكتشفها الصينيون في القرن السابع، ثم أعاد اكتشافها الإنجليز في القرن التاسع عشر على يد سير "ستامفورد رافلز"عندما كان يبحث عن مكان ليكون ميناءً تجارياً في منتصف طريق رحلة التجارة الإنجليزية إلى الصين والهند، خاصة أنها تطل

على مضيق "ملقا" وبحر الصين. لذا اختيرت لتصبح ميناءً ومركزاً للتجارة العالمية، ولم تكتف سنغافورة بكونها ميناءً لخدمة السفن الرائحة والغادية، وإنما قامت بحركة تجارية واسعة النطاق، من خلال شراء البضائع من السفن الزائرة، وفقاً لاتفاقيات تجارية، وإعادة تصديرها مرة أخرى لبلاد أبعد، مما يترتب على زيادة مباشرة للناتج القومي.

الانطباع الأول:

خرجنا من المطار لنجد زميلين في انتظارنا مرحبين بنا، ومعهما سائق السفارة "ين"، حياني بملامحه السنغافورية الأسيوية، الوجه شبه المثلث، الأنف الصغير الأفطس، الشعر الفاحم السواد، البشرة الصفراء اللون.

انطلقت بنا السيارة باتجاه منطقة – ضحك ابني "كريم" عندما سمع اسمها لأول مرة – "أبر بوكيت تيما" أي بالعربية "المنطقة العليا من جبل تيما"، حيث سنقيم في مجمع سكني على شاكلة معظم المجمعات السكنية في سنغافورة: مجموعة بنايات سكنية، ومسبح وملاعب رياضية، محاطة بسور، ولها إدارة كاملة من حراس الأمن.

من النظرة الأولى للبلد، أدركت جمال الطبيعة الخضراء التي تنبثق إلى النُظار رغم ظلمة الليل، كانت الساعة الثامنة مساءً وخمساً وأربعين دقيقة تقريباً من يوم الجمعة، ليلة عطلة أسبوعية، توقعت أن أجد زحاماً في الشوارع بعكس ما رأيت، كانت الجزيرة السنغافورية شبه نائمة هادئة ، يبزغ جمالها تحت ستائر الليل المتلألئ

بمصابيح الإنارة التى ترسل أضواءها ، لتبعث بجدائلها الخضراء الحالكة السواد فى الليل .

البيوت يغلب عليها الطابع الأوروبى ، حيث الأسقف القرميدية الحمراء المنحدرة ، كيلا تسمح للمطر بالتراكم فوقها . نسيت أن أخبرك أن سنغافورة جزيرة استوائية ممطرة طوال العام ، حيث درجة الحرارة تتراوح ما بين ٣٥-٣٢ مئوية ، ولا داعى للحديث عن الرطوبة المسيلة للعرق الشديد ، و أننا نعيش فى صيف دائم ، فلا وجود لشئ اسمه الشتاء .

فور الوصل إلى البيت الذى يشبه فى تصميمه بيوتنا العربية من الداخل ، غير أن الأثاث مصنوع من الجلد الغامق اللون المقاوم للرطوبة ، كما هو الحال فى كثير من البيوت السنغافورية ، لم سترك لنا إرهاق الرحلة الطويلة التى بدأناها البارحة فرصة ، إلا للذهاب فى سبات عميق .

٣- ني..هاو..ما؟

سييه..سييه

تلك هى التحية افلسنغافورية ، الأولى بمعنى كيف حالك ؟ و الثانية بمعنى بخير .

الحقيقة أن السنغافوريين غرباء فى طباعهم و عادتهم وتقاليدهم ، فهم أشخاص خجولون يتخوفون من الأجانب ، ولا يعتادون عليهم بسهولة ، لكنهم مسالمون بطبعهم ، ليسوا اجتماعيين ، يتعاملون مع الأغراب بحذر ، أما المتحضرون منهم و الذين أتيحت لهم فرصة السفر و الإقامة لفترات طويلة فى بلاد اخرى ، فتجدهم متفتحين أكثر و يسهل التعامل معهم.

لا تتعجب من فضلك إذا خرجت من شقتك صباحا ، فتجد جارا ينظر فى وجهك ولا يبادلك تحية الصباح ، و قد يتفادى النظر غليك من الأساس الأساس فهذا شائعع جدا . إن معظم الجيران فى المبنى السكنى الواحد لا يعرفون بعضهم بعضا ، ولا يتخاطبون معا إلا لضرورة ملحة.السكان كما أخبرتك من قبل من ثلاث أعراق: صينيين ، ماليزيين، هنود، و أجانب مقيميين للعمل هناك ، و

اللغة الرسمية هنا هى الإنجليزية ، إلى جانب لغات فرعية مثل " الماندرين" و هى لغة الصينيين، و"الملايو" لغة الماليزيين، و"التاميل" وهي لغة الهنود.

السنغافوريون شعب مُحب للحياة والرياضة والفن والاحتفالات، يفتقرون إلى القدرة على التفكير الفردي والمرونة، فقد تقع لسوء حظك في مشكلة بسيطة يملك أحد العاملين في المكان حلها ببساطة، لكنه يمتنع، لسبب بسيط هو أنه لا يريد مخالفة التعليمات، فتشعر بعدم مرونتهم، أو كأنك تتحدث إلى إنسان آلي، "روبوت"، إن فهمك، سيفهمك السنغافوريون؟

بالفعل إنسان آلي ينفذ القواعد بكفاءة عالية لا نظير لها، وإن استوقفته وسألته. لماذا تفعل ذلك، لن يجيب، لأنه ليس لديه تفسير محدد، وإنما يفهم فقط طبيعة العمل المنوط به.

هـ م شعبٌ مطيع، مُحب لبلده وللحكومة، يصدقون كل كلمة تقولها حكومتهم، ويؤمنون بما تطلقه من تصريحات، شعب مطاوع منفذ للأوامر، لأن حكومته بدورها لن تكذب عليه قط، وتريحه وتخطط له جيداً ، وهو يلمس هذا التخطيط بوضوح في مستوى المعيشة المرتفع الذي ينعم به الجميع حتى أقل الفئات، وحتى لو كانوا يدفعون نسبة كبيرة من دخولهم كضرائب للحكومة، تستخدمها في تنظيف وتجميل شوارعهم، وتقيم بها بعض المشروعات المجانية التي تعود بالنفع على المواطنين كحدائق عامة ومتنزهات رائعة، وتحسين في الخدمات، وجميع مرافق البلد.

وإذا ألقيت نظرة على البرنامج اليومي لرجل سنغافوري مثلاً ، ستجده يستيقظ في السادسة صباحاً ليتناول إفطاره المكون عادة من: فنجان من لبن الصويا + شريحة خبز بالزبد/ أو كورن فليكس باللبن/ أو كرات السمك مع بيض

مسلوق أو لانشون لحم خنزير أو دجاج/ أو مكرونة صيني "بي هون"/ أو أرز صيني بالخضروات.

يبدأ عمله تقريباً في السابعة والنصف صباحاً وحتى السادسة مساءً ، يتخللها ساعة راحة لتناول الغذاء، غالباً تكون ما بين الثانية عشر ظهراً والواحدة، حيث يذهب لتناول الغذاء في أي مطعم شعبي قريب "وهم كُشر"، والوجبة لا تزيد عن ٤ دولارات سنغافورية"= حوالى ١٦ جنيه مصري.

يعود بعد ذلك للعمل كالإنسان الآلي، حتى يعود إلى منزله في السادسة والنصف تقريباً ، وهو موعد العشاء، حيث الوجبه الرئيسة وهي قد تشمل: أرزاً صينياً مطهواً على البخار أو في حلة الأرز الكهربية + سمك أو دجاج أو لحم خنزير + خضروات صينية مطهوة على البخار أو مشّوحة مع زيت السمسم وصوص الصويا. هذا على سبيل المثال لا الحصر.

بعد العشاء يذهب البعض لممارسة الرياضة، إما في غرفة الألعاب الرياضية "جيم" لسكان المجمعات السكنية، وإما في الشوارع حيث يمارسون رياضة المشي السريع أو الجري حتى لو تحت المطر.

يعود للمنزل بعد ٤٥ دقيقة تقريباً ، ليشاهد التليفزيون مع العائلة، ويدور حديث عائلي بينهم ثم يذهب للنوم.

أما البرنامج اليومي لسيدة سنغافورية عاملة، فسيكون مشابهاً لما سبق، يتخلله مكالمات تليفونية عديدة لمتابعة شئون المنزل والاطمئنان على عودة الأولاد من المدرسة.

أما طفل المدرسة السنغافوري، فيستقل عربة المدرسة التي تأتيه في السابعة إلا ربع صباحاً تقريباً، ليكون في مدرسته قبل السابعة والنصف صباحاً، حيث يتناول إفطاره من "كانتين" المدرسة حيث الوجبات المدعمة للطلاب وقد يشمل: أرزاً بالكاري والدجاج، مكرونة صيني، فطائر مقلية محشوة بالبطاطس والشطة والكاري"

ثم يذهب إلى القاعة الكبرى المسقفة في المدرسة – مسقفة بالطبع لكثرة الأمطار شبه اليومية – ويجلس هناك متربعاً على الأرض – سلو البلد – ويقرأ في كتاب ما، مثل بقية الطلاب، شرط ألا يكون كتاباً دراسياً، – للتأكيد على أهمية القراءة – إلى أن يأتي مدير المدرسة وطاقم الإدارة ويقومون بما يشبه طابور الصباح في مدارسنا.

يتحدث المدير في الميكروفون مخاطباً الطلاب الجالسين على الأرض في صفوف محددة ومنتظمة، ويخاطبهم في حديث أبوي، فيما يريد من نصائح تربوية وتعليمية أو شكاوى جاءته بشأن بعض الطلاب وما إلى ذلك.

ينهض الطلاب بعد أن يغنوا لسنغافورة نشيداً وطنياً بعنوان "ماجولا سنجابورا" أي تحيا سنغافورة، يتجهون إلى فصولهم للدراسة، حتى يعودوا إلى بيوتهم في الواحدة والنصف ظهراً تقريباً – هذا لطلاب الفترة الصباحية – حيث يستريحون قليلاً، ثم يخرجون بعد أداء الوجبات المدرسية لتلقي مزيد من مجموعة التقوية أو الانطلاق للعب مع ذويهم من الجيران، حتى موعد العشاء في السابعة.

٤- ماجولا سنجابورا

اليوم ٩ من أغسطس، يوافق العيد الوطني لسنغافورة، عيد استقلالها عن ماليزيا عام ١٩٦٥ العيد الوطني يغني الكثير للسنغافوريين بفئاتهم الثلاث: الصينيين والماليزيين والهنود، فاليوم ينعم الجميع بعطلة رسمية في الدولة، الأسد شعار الدولة، والعلم السنغافوري، والأعلام الصغيرة الحمراء تنتشر في كل مكان، بعد أن أخذت أماكنها في جميع الشوارع وعلى جدران المنازل والمباني الإدارية.

منذ شهر تقريباً، أي قبل موعد العيد الوطني بكثير، عن حب وليس عن إلزام بتعليق الزينات، بحثت عن صورة رئيس الدولة أو رئيس الوزراء، باعتبارها نظاماً رئاسياً برلمانياً، فلم أجدها، الجميع يحب سنغافورة، والانتماء للوطن وحده، ولا مجال للغناء لرؤساء، أو مجاملة وزراء، الجميع يغني لسنغافورة، يتحدث عن سنغافورة، يعشقون العمل بروح الجماعة.

العلم الوطني رمز الانتماء القوي للوطن رغم صغره، رغم اختلاف طوائفه.

على اللوحات الإلكترونية التي تتوسط الطرق بارتفاع أعمدة الإنارة كُتب:"اليوم نحتفل بسنغافورة، لنرتدي ملابس حمراء"، وبالفعل شاهدت كثيرين اليوم يرتدون "تيشيرتات" حمراء، جميع الحدائق والشواطيء في سنغافورة مليئة، مكتظة بالبشر، بشكل لم أره من قبل إلا ليلة الكريسماس هنا.

الجميع سعيد، الجميع يحتفل بركوب الدراجات، وبالشواء في الهواء الطلق، بالتنزه في مجموعات. وفي المساء يأتي الاحتفال الكبير على الهواء مباشرة، في أكبر استاد رياضي بسنغافورة، حيث قضى مئات السنغافوريين الليالى في طوابير قبل الحفل بأسابيع، للحصول على تذاكر لحضور الاحتفال، وهي مجانية متاحة للجميع حتى نفاذها.

في الحفل الكبير، تحتشد هناك الحشود وأعضاء البرلمان ورئيس الوزراء ورئيس الدولة ومؤسس الدولة قديماً، حيث تبدأ العروض وتبث للجماهير على شاشات التليفزيون، لنشهد عرضاً أشبه بافتتاح دورات الألعاب الأوليمبية في كوريا أو أمريكا، بدءاً من عروض القفز بالمظلات وعروض الطائرات ذات الأبخرة الملونة، ونهاية بعروض الجيش وطلاب المدارس، واشتراك الجمهور في العرض وهو يرتدي "التيشيرتات"الحمراء، وإمارات الفرح والاعتزاز ببلدهم تبدو جيداً على وجوههم، من أصغر طفل، وقد رسموا على وجنتيه علم سنغافورة بهلاله ونجومه الحمراء، إلى سيدة عجوز مسنة تجلس مع ذويها مغتبطة، تلوح بيد مرتعشة بعلم سنغافوري صغير.

ويتخلل العرض السلام الوطني وأغنيته:"ماجولا سنجابورا" بمعنى تحيا سنغافورا، باللغة الماليزية، اللغة المحلية الأولى في الماضي.

بالأمس جاءت خطبة "جو تشوك تونج" رئيس الوزراء، بمناسبة اليوم الوطني لسنغافورة وبمناسبة تخليه عن منصبه لابن مؤسس دولة سنغافورة "لي كوان يو"، والتي تأسست دولة سنغافورة المعاصرة على يديه قبل الاستقلال عن ماليزيا وبعده، إلى أن اختار "لي كوان يو" نائبه "جو تشوك تونج"، ليكون رئيساً للوزراء، وتنازل له عن الحكم، وظل برئاسة الوزراء حوالى ١٤ عاماً حتى أمس، عندما أعلن تنازله عن منصبه لابن أستاذه "لي كوان يو"، الذي تعدى الثمانين عاماً الآن، وإن كان هذا الأمر كان مخططاً له منذ عدة سنوات، لكن رئيس الوزراء فضّل أن يترك منصبه بعد أن تنتهي حالة الكساد التي طفت على البلد بنسبة بسيطة أثناء فترة توليه، وها قد أوفى بوعده وتنازل عن مقعده لكنه لم يعد لصفوف المواطنين، وإنما لمنصب وزير أول، وبدى الرجل متأثراً في خطابه، وقال إنه لم يكن يحلم بهذا المنصب قط، خاصة وأنه نشأ في أسرة فقيرة، لكنه وصل إليه بالعمل والاجتهاد، وذكر أنه حقق إنجازات كبيرة، أن خدمته للشعب السنغافوري كانت أكبر شرف له في حياته، وأشاد بأن الحكام في سنغافورة لا يحتكرون الكرسي، ويتنازلون عنه بمحض إرادتهم للجيل الجديد، وأنه تأكد تماماً من أن الشعب السنغافوري لا يمكن أن يحقق ما يصبو إليه من رفعة وطنه، إلا باتحاد أفراده ليصبحوا كياناً واحداً متماسكاً، وهكذا انتقل الحكم الآن إلى "لي سين لونج" ويبلغ من العمر ٥١عاماً، والذي كان نائباً لرئيس الوزراء ووزير المالية.

٥- دعوة على الشاي الأخضر

أخذنا الحديث عن سنغافورة، ونسيت أن أدعوك لفنجان شاي في بيتي، فمعذرة وتفضل معي الآن، أنت الآن سائح عربي مقيم في سنغافورة لبعض الوقت، فاسمح لي أن أكون مرشدتك السياحية – وظيفة قديمة كنت أود أن أعمل بها، ثم عملت بنصيحة أمي وابتعدت عنها لأنها مرهقة – ولكنني أؤديها الآن على الورق ، فلا بأس مطلقاً منها.

نحن الآن في عربة أجرة تجوب سنغافورة، تلك الجزيرة الصغيرة الساكنة في بحر الصين الجنوبي المتصل بالمحيط الهادي في جنوب شرق القارة الأسيوية، حيث ١٣٦.٨ كيلو متر شمال خط الإستواء، أنت بالفعل في جزيرة استوائية، لكن لا نخش شيئاً، فدرجة الحرارة لن تعدو ٣٣ مئوية، غير أن الرطوبة ٨٠%.

الشوارع متوسطة الاتساع، تكفي لثلاث سيارات للمرور في ثلاث "حارات"، عندما قالوا لي عن سنغافورة إنها صغيرة جداً، تصورت أني سأهبط من المطار لأجد البيت على يمينه مباشرة، ولكنك إذا بقيت معنا أكثر فلن تشعر

بصغرها، وستنسى أنها دولة ذات مدينة واحدة، وسيخيل لك أنها كالبحرين أو ثلاث أرباع مدينة القاهرة، مع فارق أن عدد ساكنها لا يعدو أربعة ملايين نسمة.

الأشجار الخضراء الكثيفة العفية تحفنا من الجانبين بغزارة وعمق بعيد يمتد من ورائها، تتخللها المنازل ذات الأسقف القرميدية المنزلقة والمجمعات السكنية ذات الأسوار المشجرة المزهرة، والمتاجر الكبرى، والمباني الإدارية العالية الفريدة التصميم.

يجري في وسطها تقريباً نهر سنغافورة، وبعض البحيرات المائية الطبيعية الصغيرة، ولذا "ألقوا عليها مدينة الماء – أو مدينة الأسد – رغم أنك من الممكن أن تقضي أياماً كثيرة تجوب فيها شوارع لا ترى فيها نهراً ولا بحيرة، وربما لكثرة الشوارع في سنغافورة وتشعبها، بل إنهم يسمون الطريق الواحد بأكثر من اسم، معذورون فإن لم يفعلوا ذلك لوجدت البلد عبارة عن بضعة شوارع لا أكثر".

المهم، هنا نحن أمام واجهة "الكوندومنيوم" المجمع السكني، وهو نظام سكني شائع كثيراً هنا، وربما يعجبك وتسكن به وتصبح جاراً لنا، من يعرف؟. يدخل الآن سائق التاكسي إلى الداخل، علي أن أخفض رأسي من داخل العربة كي يراني حارس الأمن، فيسمح للعربة بالدخول، هكذا الحال مع السكان والمستأجرين، أما الضيوف فلابدُ من إيقاف سيارتهم، وأخذ أرقامها وسؤالهم عن اسم الشخص الداعي لهم، ولا بدُ أن يضعوا سيارتهم في المكان المخصص لسيارات الضيوف الزائرين، وليس في مكان سيارات السكان المستأجرين، ولا مكان سيارات ذوي الاحتياجات الخاصة. إذ نظرت إلى هذه العلامات الحمراء والبيضاء على أرض الجراج ستعرف ما أقصد.

تفضل.

لقد انصرفت عربة الأجرة، دعنا نتوجه إلى المصعد، هل ترى تلك السنغافورية هناك، إنها مديرة المجمع السكني، لا تكاد تجلس في مكتبها، رائحة غادية طوال النهار، تتفقد أحوال حراس الأمن وعمال النظافة وتحل أية مشكلة للسكان.

آه، هذا هو المصعد/ .GOOD MORNING

لا عليك، إنها جارتي "جين"، في الشقة المواجهة ألقي عليها التحية، شخصية عجيبة، سأحدثك عنها لاحقاً.

اليوم السبت، ربما تجدها ذاهبة بأولادها لدروس السباحة، أو أية دروس والسلام، سنصعد الآن للدور الخامس.

HI-

هذا هو جارنا السنغافوري "ليم"، يمارس زوجي معه رياضة التنس أسبوعياً، دعوناه وأسرته مرة عندنا، لكننا لم ندخل بيته ولا مرة.

هذا بيتي، تفضل، بيتنا بسيط، فيه رائحة البيوت المصرية البسيطة، تزين جدرانه بعض الصور النحاسية العربية، وآيات قرآنية وسجادة صغيرة من خان الخليلي لمشهد الريف المصري، هذا ابني "كريم" ١١ سنة، مرابض أمام جهاز الكمبيوتر، لتحميل ألعاب مجانية على الأنترنت.

وهذا "آمن" صغيري ٦ سنوات، مرابض أمام قناة ديزني الأمريكية لأفلام الكارتون، تفضل على المقعد الجلدي – كعادة البيوت السنغافورية المفروشة هنا – سأنادي زوجي ليرحب بك، ويحدثك عن عشقه لسنغافورة أكثر مني، فأنا أراها جميلة، ساكنة أكثر من المطلوب، جنة بلا ناس.

أما وقد جاء "أحمد" زوجي للترحيب بك، سأذهب أنا لإعداد الشاي وتجهيز الكيك، ربما ندعوك على الغذاء لاحقاً، لكن الأكل المصري هنا لن يكون بنفس النكهة المصرية الأصلية.

– ماذا ؟

– آه، تقصد هذه الرائحة؟ للأسف إنها رائحة طهي الأكلات السنغافورية لدى الجيران، لا سبيل لمنعها. ضقنا بها ذرعاً، لكننا اعتدنا عليها فيما بعد، بل وصرنا نميزها من رائحتها، عموماً سأحاول إغلاق نافذة المطبخ.

٦- حفل زفاف سنغافوري

في حفل عشاء للدبلوماسيين أجانب في بيتي، وكعادة السيدات ينتحين ركناً خاصاً بهم للثرثرة النسائية، وبعد العشاء وتقديم الشامبانيا المصرية لهم (مشروب الكركدية المصري)، تلقفت صديقة تركية "أوزلم" سؤالي عن اختلاف تقاليد الزواج من بلد لأخرى، فقالت وقد ارتسمت ابتسامة التمني على شفتيها – فهي لم تتزوج بعد–: آمم، لدينا في تركيا تقاليد الزواج لا زالت تقليدية.

يأتي العريس لبيت أهل العروس لطلب يدها، وتذهب العروس لإعداد القهوة التركي المعتبرة، ثم تدخل لأهل العريس في غرفة الضيوف وتقدم القهوة أولاً للعريس، وثانياً لبقية أهله، وأحياناً تتعمد الفتاة وضع ذرة ملح في فنجان العريس، كوسيلة خبيثة لاختبار ما إذا كان سيثور إذا لم تعجبه القهوة، أم سيلزم الصمت ويوميء برأسه علامة الرضا، وإعجابه بالقهوة المملحة.

يتفقان على كل شيء كما في بلادنا العربية، ويتعاون الطرفان وفق ما تراءى لهما، ويكون هناك "شبكة" للعروس.

أما صديقتي السنغافورية "صو إنج"، فتنهدت بحرارة، وهي تستعيد ذكريات حفل زفافها منذ ١٢ عاماً، فقالت: عندما جاء "بنديكت" لخطبتي كنت سعيدة للغاية، فقد كان زميلي بالجامعة، وتزوجنا عن حب.

وجاء إلى بيت أبي واتفقنا على كل شيء، على المسكن وهدية العروس الماسية أو الذهبية، وكم منضدة يستطيع حجزها في حفل عشاء المساء، وكان "بنديكت" باستطاعته حجز عشر مناضد فقط، بمعنى دعوة مائة فرد على حفل العشاء، وافق أبي، وأكمل هو دفع قيمة المناضد الإضافية أو الأفراد الباقين الذين يود دعوتهم في يوم الزفاف.

في صباح يوم الزفاف الباكر، تزينت كعروس على يد خبيرة تجميل في بيتي، ثم جاء "بنديكت" العريس لاصطحابي إلى حيث تقام مراسم عقد الإكليل في الكنيسة – للسنغافوريين المسيحيين – وبعدها ذهبت مع "بن"، إلى إحدى الحدائق ، وكانت الساعة العاشرة صباحاً وقتها، لالتقاط صور الزفاف التذكارية في الهواء الطلق، حيث الطبيعة الجميلة قبل اشتداد حرارة الظهيرة، وكان معنا بالطبع اثنان من المصورين المتخصصين.

بعد ساعة تقريباً انتهينا وذهبنا إلى "الأوتيل" الذي سيقام فيه حفل العشاء مساءً ، وسنتمتع بقضاء ليلة أو ليلتين مجانيتين، هدية من الأوتيل، المهم اعتدلت صديقتي في جلستها وهي تبتسم حالمة وهي تتابع:

بدلت فستان زفافي الأبيض، وارتديت آخر أحمر اللون، ثم ذهبت مع "بن" إلى بيت أهله حيث انحنيت باحترام لتقديم صينية الإفطار لأم زوجي، وهو يشمل عادة في هذه الحالة بعض الفاكهة والفطائر مع مشروب طبيعي لتتنقي ما تشاء، ثم انحنيت مرة أخرى لتقديم صينية الإفطار لوالد زوجي ثم لبقية أفراد الأسرة، وهذا التقليد لدينا بمثابة تقديم فروض الولاء لوالدي الزوج.

بعد ذلك أخذني "بن" وذهبنا إلى بيت والدي، ليقدم "بنديكت" بدوره صينية الإفطار لأمي وأبي وبقية أفراد الأسرة.

بعد كل هذه الجولات عدنا إلى غرفتنا بالفندق. لنستريح بها حتى يحين موعد حفل العشاء في نفس الفندق.

في حفل العشاء أمضينا وقتاً طيباً مع أفراد الأسرتين والأصدقاء، وتناولنا بعض النبيذ، ولحم الخنزير المشوي والدجاج المقلي بالعسل وبعض الأرز، والفطائر الصينية والحلويات والكيك على أنغام موسيقى خافتة.

أما السنغافوريون من أصل – ماليزي – فعادتهم في الزواج تشبه إلى حد كبير عادتنا الشرقية، فيذهب العروسان لمدة معينة، إلى حين يأتي موعد عقد القران، الذي يتم عادة إما في بيت أهل العروس، وإما في أحد المساجد الكبيرة بسنغافورة – وعددهم ليس بقليل – أما حفل الزفاف، فمن الممكن أن يكون في نفس يوم عقد القران، أو في اليوم الذي يليه، ويتم في بيت أهل العروس أو في الفنادق، وذلك للأثرياء جداً، بحيث يجتمع أهل العروسين على حفل غذاء أو عشاء يقيمه أهل العروس.

أما السنغافوريون من أصل – هندي – مسلمين –فيقيمون أيضاً الخطبة ثم عقد القران مثلنا تماماً مع اختلاف بسيط، وهو أن الاحتفال يبدأ قبل يوم الزفاف بيومين، بمعنى أنه يستمر ثلاثة أيام.

في اليوم الأول – يجتمع الأهل في بيت والد العروس للدعاء للعروسين بحياة سعيدة.

في اليوم الثاني – يوم الحناء – تتزين العروس في هذا اليوم هي وصديقاتها وقريباتها بنقوش الحناء المخضبة الجميلة، على الأيدي والأقدام.

اليوم الثالث هو يوم الزفاف – حيث يقام عقد القران في المسجد أو في بيت أهل العروس، ثم يقام حفل الزفاف غالباً في بيت أهل العروس، ويستمر هو أيضاً لثلاثة أيام حتى يمكن لأهل العروسين الترحيب بجميع الأهل والأصدقاء والمعارف. ويتم على أقل تقدير دعوة نحو ألف شخص.

أما السنغافوريون من أصل – هندي – هندوس أو سيخ، فيتم إجراء عقد الزواج في معابدهم، تحت رعاية كهنة المعابد، ومباركتهم لهم عن طريق غسل أقدامهم بالماء والعطر الهندي ووضع أكاليل الزهور على رؤوسهم، وبصمات البخور الحمراء والصفراء في جباههم، بعد أن يقوموا بتقديم الابتهالات والتحيات لتماثيلهم المقدسة، سواء كانت لأفيال أم أبقار أم آدميين رحلوا ولا زالوا يقدسونهم.

عيد ميلاد سعيد:

وفي أعياد الميلاد يحتفل السنغافوريون كالغرب في احتفالات أعياد الميلاد، فيدعي أفراد الأسرة المقربين لحفل عيد الميلاد، ويكون هناك كيكة لعيد الميلاد

وشموع، ولكن بعد تناول وجبتي الأرز أو المكرونة الصيني مع صلصة الطماطم بالشطة. ويقدّم الأهل هدايا متنوعة للطفل صاحب عيد الميلاد.

هناك نوع آخر من الاحتفال، يشبه الاحتفال بأسبوع المولود عندنا، ففي الأسر السنغافورية المسلمة يحتفلون بالمولود الجديد بعد شهر من ميلاده، حيث يجتمع الأهل في بيت المولود ثم يتناوبون في قص شعيرات صغيرة جداً من رأسه، ثم يحلقون له حلاقة جميلة، وتكون هناك مائدة للطعام الشهي، حيث يتناول الجميع وجبة طيبة، بعد أن يباركوا المولود بدعواتهم له بالصحة والصلاح.

أما السنغافوريون البوذيون – الصينيون –فهم يحتفلون أيضاً بالمولود الجديد بعد شهر من ميلاده بتجهيز عدد كبير من الكيك الأحمر اللون، يعد خصيصاً لهذه المناسبة، ويغلف في لفافات ويوزع على الأقارب الذين يأتون لبيت المولود للتهنئة بميلاده، ومن الطريف أن يعتمد غذاء أم المولود الجديد على شوربة البلح والأرز اللين المطهو على البخار كوجبتين أساسيتين، لفائدتهما العظيمة في إمداد جسمها ببعض ما فقدته من عناصر وفيتامينات أثناء فترة الحمل.

٧- رمضان في سنغافورة

عام ٢٠٠١ لم يكن أول رمضان لنا في سنغافورة بالشيء اليسير، بل ربما كان أصعب شهور رمضان علينا، لا لطول فترة الصيام التي تمتد حتى السابعة مساءً، ولا للحر ونسبة الرطوبة المرتفعة والتي تصل أحياناً إلى ٨٠%، ولا لقلة معارفنا الذين لا يتجاوزون عدد أصابع اليد الواحدة، وإنما كانت صعوبته في حزننا المرير على وفاة أم زوجي في مطلعه.

دون ونيس ولا جليس، كبتنا الحزن في أعماقنا مع الصيام ومشاعر الغربة والبلد المجهول بالنسبة لنا، لم يكن سهلاً أبداً ولن يُنسى.

في السنوات التالية، وجدنا لرمضان مذاقاً أجمل، أخذ في الازدياد عاماً بعد عام.

عادة تأخذ الأحياء السنغافورية الإسلامية زينتها مع أفرع الزينات الكهربائية الملونة، والتي تتخذ رسم المساجد والمآذن والقباب شعارات بديعة لها بطول شوارع

الحي الماليزي وشارع العرب، كما تقام الخيام الرمضانية، فتصطف على جوانب الطرق في هذين الحيين، كما في حي الحسين والأزهر في مصرنا.

بالنهار يمكنك التنزه بها وشراء ما تبتغيه من أغراض الطعام أو الملابس الماليزية أو المفروشات وخلافه، لكنني لا أنصحك بالذهاب ليلاً فلن تجد موطئاً لقدم، حيث يزدحم المكان بالسنغافوريين المسلمين بعد صلاة التراويح، ويصبح الزحام تماماً كما في وقت الحج.

ولا مانع من أن أدعوكم على الإفطار على وجبة مصرية خفيفة، لا تتوقعوا ملوخية ولا بامية ولا محشي ورق عنب، ولا تمنوا أنفسكم بعصير قمر الدين، فسيكون ذلك مستبعداً اللهم إلا إذا رزقنا الله بهدية من مصر مع أحد الأصدقاء العائدين من إجازة؛ لكن لا بأس من بعض الأرز المفلفل والبسلة بالجزر وطبق شوربة ودجاج، ولنستبدل عصير قمر الدين بعصير البرتقال، أتتوقعون حلواً ؟ ربما لاحقاً سنتحفكم ببعض القطايف المخبوزة بالمنزل، شيء لم تكن جدتي تفعله في شبابها!

موعد الإفطار سيحين في السابعة مساءً تقريباً.

صوما مقبولا وإفطارا هنيا

والآن، أما وقد صليتم المغرب، سنصحبكم وزوجي إلى صلاة التراويح، فمسجد الروضة على مقربة منا، على بعد ٥ دقائق بالسيارة، المسجد جميل حقاً، المئذنة الكبيرة، والقبة الدائرية، وفناء المسجد الواسع يحيطه سور حديدي مرتفع

بعض الشيء، يشبه مساجدنا العربية تماماً، خاصة وإنكم تلمحون اللوحة المعدنية الكبيرة وقد كُتب عليها بالعربية:"مسجد الروضة".

لن تسمعوا الأذان من خارج المسجد، فلا يُسمح بالميكروفونات الخارجية، تذكروا أنكم في بلد بوذية بالدرجة الأولى.

في فناء المسجد ربما تلاحظون موائد منصوبة، فقبل الإفطار يتبرع كثيرون بوجبات إفطار للصائمين، الطريف أنه أحياناً يعتذر المسجد عن قبول مزيد من وجبات الإفطار نظراً لكثرة المتبرعين، بل إنه ينبغي الحجز مسبقاً بإدارة المسجد لمن يريد التبرع، بتحديد اليوم وعدد وجبات الإفطار التي سيتبرع بها، على أن تكون في علب بلاستيكية.

الآن سندخل المسجد، ستجدون مكان الرجل بالدور الأرضي، والنساء في الدور العلوي، أتلاحظون ملابس الصلاة الماليزية التي يرتديها الرجال؟ ما أجمل الطواقي القطيفة المزركشة التي يضعونها على رؤوسهم!

أما النساء فيقفن في خشوع في ملابسهن البيضاء وخُمرهن التي تذيلها زركشات وتطريز جميل لزهور ونباتات رقيقة، كلهن يقفن في زي موّحد تقريباً، ينتظرون الصلاة.

أما وقد رُفع أذان صلاة العشاء، فلنسرع معاً، عفا الله عنا وعنكم، ونصلي بعدها التراويح.

٨- العيد: سلامات هاري رايا

"مرحباً بعيد الفطر"هكذا تقول عبارة (سلامات هاري رايا) العيد في سنغافورة له مذاق مختلف أيضاً، ففي العام الأول لنا هنا مر علينا العيد بشيء من الفتور والبرودة، فليس سهلاً أن تقضي العيد بعيداً عن الأهل والخلان، هكذا كنا في سنغافورة، حيث سافر القلائل الذين عرفناهم لقضاء العيد، إما في مصر أو في مكان آخر، ولم يكن بإمكاننا السفر لأنه لم يمض عام على الأقل على وجودنا هنا، شرط الحصول على إجازة.

حقيقة لم أشعر بالعيد هنا إلا في مسجد الروضة، الذي يبعد عن بيتي في (ابر بوكيت تيما فيو) بحوالي ٥ دقائق بالسيارة، وكما توقعت وكما حدث في رمضان، لم يكن يُسمح باستخدام سماعات صوت خارج المسجد، فتظل تكبيرات العيد حبيسة المسجد لا يسمعها ولا يشعر بها إلا من بداخله.

دخل زوجي وأولادي إلى حيث يصلي الرجال، في حين صعدت أنا للدور العلوي، حيث ركن النساء، تربعت مثلهن على أرض المسجد، راقت لي تلك

التسابيح والتكبيرات بنغمات ماليزية، ولم تكن هي نفسها التي اعتدنا سماعها في مصر، وإنما كانت تشبهها إلى حد كبير: الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر، ولله الحمد، لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد. كانت ترن بأذني كنغمات الملائكة، وجدت نفسي وحدي ودون أن أدري أو يدري بي أحد، أردد تلك التكبيرات التي اعتدت عليها في بلدي، مثل:(الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا، وسبحان الله بكرة وأصيلا، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه، مخلصين له الدين ولو كره الكارهون، واللهم صل على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى ذرية سيدنا محمد وسلم تسليماً كبيراً، الله أكبر الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد.)

كم كان جميلاً ذلك المشهد، وذلك الجمع الملائكي المتدثر في ألوان لامعة مزركشة وغطاءات الرأس المطرزة بأجمل الخيوط، تغشاهن هالات من الضياء والصفاء ونقاء السريرة، تبدو في وجوههن ملامح الطيبة والبراءة الخالية إلا من الرضا والخشوع لله وحده.

صلينا صلاة العيد وراء الإمام، ركعتين، وبعدها جلست معهن للاستماع للخطبة، خطبة العيد باللغة الماليزية، حيث إن معظم مسلمي سنغافورة من أصل ماليزي – ملاي – ولذا لم أفهم شيئاً على الإطلاق، اللهم إلا الدعاء لله في أول الخطبة وآخرها، والحديث النبوي الذي يستشهد به، لأنهما كانا بالعربية.

انتهت الخطبة، نظرت لمن حولي، فإذا بالجميع يتصافحن ويتبادلن التهنئة بالعيد، فصافحت بدوري بعضهن، قلت بالإنجليزية: (هابي إيد) فلم يفهمن، ربما لأنهن سيدات بسيطات لا يعرفن الإنجليزية، فقلت بالعربية: (عيد سعيد علينا) فلم

يفهمن أيضاً، فدمعت عيناي وأنا أقول لهن: (الله أكبر) عندها تبسمن وقلن بدورهن: (الله أكبر) اتفقنا على كلمة الله، أليست وحدها تكفي؟

خرجنا من المسجد، في حين انصرفت الحشود الملائكية، كل إلى غايته.

قضينا يوم العيد في التنزه في المتزهات الخضراء، واشترينا بعض اللعب للأولاد، نجحنا إلى حد كبير في إشعارهم بأن اليوم عيد، كنت بحاجة إلى أن أتبادل مع أحد تحية العيد، أذكر جيداً أنني كنت أتبسم وأميل رأسي تحية لكل سيدة مسلمة ألتقي بها في الطريق وهي ترتدي حلة العيد.

في اليوم الثاني عاد كل إلى عمله أو مدرسته، كانت إجازة العيد يوماً واحداً فقط، كان ذلك عيد الفطر عام ٢٠٠١.

أما عيد هذا العام ٢٠٠٤، فهو يمثل العيد الرابع لنا بسنغافورة، وقد أوشكت مدة بعثة زوجي على الانتهاء (٤ سنوات بالخارج، وسنتين تقريباً نمكثهما بمصر ثم العودة إلى الخارج ٤ سنوات أخرى وهكذا). في صبيحة عيد الفطر ذهبنا كالمعتاد إلى مسجد الروضة، لم نجد مكاناً للصلاة، وقد أغلق الباب ووقفت جموع من المسلمين بأبواب المسجد في انتظار إتمام الصلاة القائمة – للدخول بدورهم ليلحقوا بالدورة الثانية للصلاة – حيث كانت صلاة العيد تقام مرتين متتاليتين لإتاحة الفرصة لأكبر عدد من المصلين لحضور صلاة العيد.

واستعدت أتوبيسات المسجد لتحمل البعض إلى الصلاة في ساحة أخرى تابعة للمسجد، ولكن في حي آخر بجوار الاستاد الرياضي، فتبعناهم بغية معايشة تجربة جديدة، ولما كنت لا أزال أكتب كتابي هذا، فكان علي أن أوجه قدراً أكبر من الملاحظة والتركيز، وأن أختزن كل شيء يحدث من حولي.

بمجرد أن نزلنا إلى الساحة الكبرى المفتوحة للصلاة، جاءتنا لأول مرة سيدة سنغافورية مسلمة لترحب بنا، وتقودنا إلى مكان الصلاة، ثم تذهب لتتأكد من انتظام صفوف السيدات المصليات.

أجلس القرفصاء هادئة البال، أتأمل ملابس الصلاة الماليزية النسائية الجميلة البيضاء المطرزة، أما الرجال فيرتدون حللاً حريرية من قماش الستان، على رؤوسهم قبعات جميلة، وحول خصورهم (السارون) أو السترة، وهي قماش لامع مطرز يلفونه حول الخصر عند الصلاة فوق ملابسهم العادية، ويرتدي الأولاد الصغار مثل آبائهم، والبنات الصغار مثل أمهاتهن، فيتألقون تحت ضوء الشمس الفضي ويتشكل مشهد في غاية الجمال للمسلمين في صلاة العيد.

تبدأ التسابيح وسط التسابيح المغناة تهيم، نرددها ونكبر، ثم تبدأ الصلاة وتنتهي سريعاً، أجلس لخطبة العيد، يعن على فهمها، يجتاحني شعور خفي لا أستطيع سبر غوره، أهو الإحساس بالانتماء لشيء يتخطي اللغة وحدود المكان؟ أهو شعور بالانتماء لأمة إسلامية واحدة مع اختلاف الشكل والجنس والأمكنة؟ أهو الإيمان الكبير بالله وإحساس بنعمة الإسلام واللغة العربية، التي تمكّننا من فهمه واستيعابه بيسر؟ لا أدري.

تنتهي الصلاة، وينهض المصلون، ينتشرون في أرض الله بأزيائهم المتألقة الأنيقة، أصافح بعض السيدات كما هي العادة بعد الصلاة، أذهب لأنضم لزوجي وأولادي لنعود جميعاً إلى المنزل.

في وقت الظهيرة أجهز طبق الكعك الكبير الذي صنعته، ونستعد للذهاب إلى بيت (الحبيب حسن العطاس) صاحب مسجد "بعلوي" بسنغافورة، وهو من

أصل يمني عربي، يفتح بيته للمسلمين، وبخاصة العرب المغتربين في أول أيام العيد من الظهر حتى المغرب، في بيته نلتقي بمختلف الجنسيات من المسلمين.

البيت ذو طابع عربي كما يبدو على الفيلا وكما يبدو من الداخل، رائحة البخور اليمني تنبعث في هدوء، مائدة الطعام العربي اليمني الشهي ممتدة منذ الظهيرة، حقيقة نشعر أننا في بيتنا هنا حيث يجلس الرجال في الدور الأرضي وتجلس النساء في الدور الثاني، في حيث يلعب الأولاد بالحديقة مباراة لكرة القدم، نجلس هناك بضعة ساعات نحتفل بالعيد مع مسلمين من شتى الأمم، نعود أدراجنا وفي قلوبنا بهجة من بهجات العيد.

٩- ديك وحبتان من اليوسفي

نتحدث أولاً عن الديك الذي تملأ صوره الشوارع السنغافورية هذا العام ٢٠٠٤، ربما يخطر ببالكم أنه عرض خاص من ماكدونالدز، أو غيره من المطاعم الأمريكية، ولكن لا.
ونأتي الآن لليوسفي، فقد يكون من الشائع أن يهديك صديق عزيز كيلو أو اثنين من فاكهة اليوسفي، ولكن أن يهديك بحبتين من اليوسفي، فهذا غريب بعض الشيء.

في أوائل شهر فبراير من كل عام يأتي موعد السنة الصينية الجديدة، وهي تمثل العيد الرئيس للسنغافوريين الذين يتخذون كل عام رمزاً يحمسهم للعمل في السنة الجديدة، حيث يطبع ذلك الرمز في صفحات النتيجة الورقية، ورمز العام الماضي كان العنزة، أما رمز هذا العام فهو الديك، رمز العطاء والنماء والإنتاج.

ومظاهر الاحتفال تتمثل في زينات الشوارع الرئيسة في وسط البلد وبخاصة في الحي الصيني، ويكون اللون الأحمر والذهبي هما اللونان الرئيسان في ديكورات المحال التجارية التي تسارع بعمل تخفيضات لاجتذاب السياح الذين يتوافدون في

تلك الفترة خصيصاً لمشاهدة احتفالات السنة الصينية الجديدة، من سيارات المهرجانات التي تسير في الشوارع، وتلفت الأنظار بديكوراتها المزركشة ورسوماتها الصينية المميزة، كرسم التنين الأسيوي ووجوه أطفال صينيين.

هناك أيضاً نوع من النباتات لا يظهر ولا يباع إلا في السنة الصينية، تجدونه على أبواب جميع المحال و"المولات" التجارية، وأمام كل البيوت السنغافورية تقريباً، وهو عبارة عن نبات نصفه أصفر، ونصفه أحمر مزروع عادة في أصيص، كما أن هناك فاكهة الدوريان، والعياذ بالله ذات الرائحة النفاذة المنفرة، وبرتقال كبير الحجم يشبه البطيخ في حجمه، كل هذا نجده في المحال فقط في السنة الصينية.

أول يوم في السنة الصينية يمثل أول يوم العيد لدى السنغافوريين من أصل صيني، يظهر الجميع في حُلل العيد الحمراء غالباً كزي وطني أو في الثياب التقليدية الصينية المزركشة.

وتخرج كل أسرة في الصباح الباكر تقصد زيارة الأبوين والأجداد، ثم تدور الزيارات على جميع الأهل والأصدقاء، ويستمر تبادل هذه الزيارات والاحتفالات لمدة ١٥ يوماً، ومن التقاليد الأصلية أن تدخل كل أسرة على الأسرة التي تزورها بكيس ورقي أحمر أنيق تزركشه زخارف صينية وبداخله حبتين من اليوسفي، فاكهة العيد التي تمتلئ محلات السوبر ماركت بصناديق كرتونية منها، ويقبل الجميع على الشراء لتبادل تقديمه بين الأسر في العيد.

فاليوسفي له أهمية خاصة وهي كونه رمزاً للرزق والخير لذا يتم تبادله في السنة الجديدة، وعندما تقدمه أسرة لأسرة أخرى، فلابُد من أن ترد الأسرة الأخرى بدورها

حبتين كذلك من اليوسفي، أو أي عدد زوجي من اليوسفي٢، ٤، ٦. وإلا سيعني ذلك فألاً سيئاً.

رقصة الأسد

حضرت عدة مرات احتفالات رسمية للسنة الصينية، كاحتفال أقامته غرفة التجارة الصينية السنغافورية، داخل القاعة الفخمة الواسعة تكدس بضعة مئات من رجال أعمال ودبلوماسيين من مختلف السفارات الأجنبية، وبعد كلمة رئيس غرفة التجارة، بدأ العرض الفني (برقصة الأسد) LION DANCE للاحتفال بالعيد، حيث يتخفى رجلان في زي الأسد الأسيوي الكبير الرأس المزركش الثياب بحليات معدنية ملونة، ويبدآن الرقص على دقات الطبول، تصاحبهما فرقة من شباب العازفين مع آلات إيقاعية كـ"الطبلة الكبيرة" و"الدف"، و"الرق"، وهي رقصة جميلة حيث يهتز الأسدان الكبيران الطويلان، ويدوران حول نفسيهما، ويخفضان رأسيهما، وينحنيان تارة، ويرتفعان تارة أخرى، وتنتهي الرقصة بحبتين من اليوسفي يقذفان الجمهور بقشرهما، تيمناً بجلب الخير للجميع.

تلا ذلك رقصة أخرى تقليدية على موسيقى من التراث الصيني، لفتاة صينية اكتست بشرتها بلون أبيض شاهق، وقد رسمت خطوط الكحل حول عينيها البراقتين، وهي نتيجة لأعلى، حيث تكاد خطوط الكحل تتصل بحاجبيها، وجعلت الفتاة ترقص وتدور على أنغام موسيقى صينية قديمة، وحولها يدور فتى صيني على وجهه مساحيق ملونة مشابهة، ليبدوان معا كدميتين آليتين.

ينتهي الحفل بدعوة الجميع إلى مائدة طعام، لتناول وجبة الغذاء التي يندر أن تجدوا فيها شيئاً نعرفه، اللهم إلا مكرونة صيني بالخضروات.

نودع القائمين على الحفل، نشكرهم، وفي طريقنا للانصراف يقدمون لنا كيساً ورقياً أنيقاً لونه أحمر، وقد نقشت عليه نقوش صينية مميزة، أتساءل:تُرى ما بداخله؟ أنظر فأجد ماذا؟ عملتين معدنيتين ذهبيتين، هما في الأصل قطعتا شيكولاتة رمزاً للعيدية، وماذا أيضاً؟ حبتين من اليوسفي.

١٠- الشعب المطيع

السنغافوريون شعب مسالم بطبعه، ثرثارون، وهم يطيعون الحكومة بشكل يثير دهشة الأجانب المقيمين هنا، فإذا قالت الحكومة مثلاً على يمين أنه يسار، فإنهم سيقولون: نعم هو يسار، وهكذا إذا رأت الحكومة الشمس تشرق من المغرب، فإن جميع الشعب سيقسم إنه رأى الشمس تشرق من الغرب.

قالت سيدة سنغافورية لي ذات مرة: أحياناً يخيل لي أن الحكومة تتعمد غمسنا في العمل لساعات طويلة، من السابعة ونصف صباحاً وحتى السادسة مساءً ، فنعود لبيوتنا منهكين، لا يكون لدينا حتى وقت للتفكير فيما تفعله الحكومة وفيما لا تفعله. هذه السيدة الآن رحلت مع أسرتها إلى أستراليا حيث الحياة أفضل كما تقول عن هنا.

مع ذلك فمعظم السنغافوريين سعداء، فالحكومة توفر لهم كل شيء، سبل العيش المريحة والحديثة، الخدمات المجانية، على سبيل المثال كثير من المنتزهات هنا مجانية، يذهب الجميع إليها في نهاية الأسبوع ويقضون أوقاتهم ويتريضون، ويرتع

الأطفال في أماكن الألعاب المخصصة لهم، ربما يفسر ذلك الضرائب الكثيرة التي تتقاضاها الدولة من المواطنين.

سمعت ذات مرة شائعة تقول: إن المياه في سنغافورة غير صالحة للشرب، وذلك بعد أن أمضينا نحو ثلاث سنوات نشرب من مياه الصنبور العادي، فاستطلعت الأمر، فإذا بالجميع يؤكد أن الحكومة لم تصرح بذلك، وإنما نصحت بغلي المياه على سبيل الاحتياط للصحة العامة.

هو شعب مسالم بطبعه، فلا أذكر على الإطلاق أن رأيت أو سمعت رجلاً يتشاجر مع آخر، ولا امرأة، الأمور هنا هادئة والناس لا يتشاجرون مع بعضهم بعضاً، لأن كل شيء يسير وفقاً لقواعد متفق عليها؛ بل ومكتوبة في بعض الأماكن، ومن يخالفها يتعرض للمساءلة، وربما دفع غرامة كبيرة تصل لمائتي دولار، كما أنهم يتحاشون الاحتكاك الاجتماعي إلا نادراً، وفي نطاق الأسرة المغلق، فهم لا يرحبون بسهولة بالغرباء، أذكر أنني في بداية عهدي في سنغافورة كنت أحاول إقامة علاقات اجتماعية ناجحة مع الجيران، وأن أعطي صورة طيبة عن العرب خاصة بعدما صارت صورتهم تهتز وتُشوه في وسائل الإعلام يوماً بعد يوم.

ونجحت بعد عام تقريباً في نيل نوط الثقة في أننا أسرة عربية طيبة، من خلال البشاشة الدائمة وحسن المعاملة التي أحطناهم بها حتى أحبونا فعلاً، وبعد أن كنا نخرج من باب شقتنا فلا نتلقى تحية صباح، ولا حتى التفاتة ترحيب، صرنا عندما نخرج نحاط بأجمل التحيات وألطف الإيماءات من جيراننا.

هم أيضاً ثرثارون، ما إن تسأل أحدهم سؤالاً حتى يبدأ في الكلام والثرثرة التي لا داعي لها، وبخاصة سائقي سيارات الأجرة، فإذا حدث وسألته سؤالاً فإنه

يأخذ في الثرثرة، لذلك فإن أفضل شيء هو أن تصمت تماماً، حتى يعي أنك سئمت ثرثرته فيصمت.

هناك من يفسر طاعة الشعب للحكومة بأسباب اقتصادية، فارتفاع المستوى الاقتصادي والاجتماعي وارتفاع مستوى الخدمات والتعليم وخلافه، بالطبع سيجعل الشعب راضياً إلى درجة كبيرة عن حكومته، وربما أيضاً لخوفه من الضياع بدونها، فهى الحكومة التي تفكر وتخطط وترتقي بهم، وما عليهم إلا الطاعة، حتى لو كانت طاعة آلية كطاعة الروبوت لمصممه.

١١- سارس يا هووه

لم يكن من المعهود انتشار الأمراض والأوبئة في سنغافورة، فهي تتصدر قائمة أفضل البلاد في العالم وأكثرها نظافة، لدرجة أنكم تسيرون في الشوارع فلا تجدون أثراً لأية قاذورات أو مهملات، ولا شيء إلا أوراق الشجر التي يسأم عاملوا النظافة من جمعها كل يوم بلا جدوى.

علمت عن هذا المرض الغريب من زوجي، فلجأت إلى الإنترنت، وقرأنا تفاصيل الخبر من جريدة سنغافورية، وعرفت أنه بدأ في الصين أولاً في إحدى مزارع الدواجن كنتيجة للإهمال وانخفاض الوعي الصحي والنظافي، ثم انتقل منها إلا تايلاند وامتد إلى سنغافورة.

أمسكت بالتليفون واتصلت بإحدى جاراتي أسألها عن ذلك المرض العجيب، فوجدتها تجيب بأنها لم تسمع شيئاً عن ذلك الخبر، فسألتها إن كانت سترسل أولادها للمدرسة في اليوم التالي، فتعجبت وقالت: نعم سأرسلهم كالمعتاد، الحقيقة أنني خشيت على الولدين، ولم أرسلهما للمدرسة لمدة ثلاثة أيام حتى يتضح الأمر، وإذا بقناة التليفزيون الرئيسة (تشانل آسيا) تذيع خبر انتشار وباء سارس،

وتهيب بالمواطنين عدم إرسال أولادهم للمدارس والجامعات لحين إشعار آخر، واستمر ذلك الوضع لمدة شهر تقريباً.

معنى ذلك أن المواطنين لم يأخذوا في اعتبارهم خطورة مرض (سارس) إلا بعد أن أنبأتهم الحكومة رسمياً بذلك من خلال وسائل الإعلام، واعترفت بوجوده.

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الثقة العمياء في الحكومة، فإن كان هناك وباء فعلي دون أن تصرح الحكومة بذلك، فلا وباء إذن ولا شيء، ولم لا يصدقونها وهي لم تكذبهم يوماً..؟

في تلك الفترة أعلنت الدولة حالة الطوارئ الأمنية الصحية في سنغافورة، واتخذت إجراءات وقائية كثيرة فمثلاً؛ فبالنسبة للطائرات، صارت هناك أجهزة للكشف عن ارتفاع حرارة الركاب من خلال بوابة يمر منها الركاب القادمون والمسافرون من سنغافورة، وهذه البوابة متصلة بشاشات إلكترونية تظهر وجوه المسافرين إما حمراء (إذا كانت حرارتهم أكثر من الطبيعي)، وإما خضراء (إذا كانت حرارتهم عادية).

كذلك يملأ كل الركاب القادمين إلى البلد بطاقات يدونون بها عناوينهم التي سيقيمون بها، ويوقعون على تعهد بأنهم لا يعانون من أمراض البرد والإنفلونزا أو ارتفاع الحرارة أو السعال، كما تم تخصيص فريق طبي للمطار ليتفرسوا في وجوه المسافرين إلى جانب الأجهزة السابق ذكرها.

ومن بين إجراءات تأمين الطائرات قامت الشركة السنغافورية بوقف طيرانها لبعض الوقت، وقامت بحملة تطهير مركزة وموسعة لجميع طائراتها ولجميع الأماكن بالمطار، ووزعت كمامات على جميع العاملين ليرتدونها يومياً.

كيف بدأ مرض سارس في سنغافورة؟

المشكلة بدأت عندما قدمت إحدى المواطنات من تايلاند إلى سنغافورة، وكانت تعاني من حرارة مرتفعة، وكانت تشك أنها ربما مريضة بدور برد عادي أو سارس، وربما خشيت الذهاب لطبيب بتايلاند كي لا يحتجزونها هناك، وكتمت الأمر حتى وصلت إلى مطار سنغافورة، وكانت في حالة يُرثَى لها فاستقبلها أهلها ونقلوها إلى المستشفى، وتأكد بعد ذلك من أنها مريضة بمرض سارس، وهو مرض نقص المناعة في الجهاز التنفسي، ويؤدي إلى ضيق في التنفس، وارتفاع شديد في الحرارة وسعال شديد، وقد يؤدي إلى الوفاة السريعة فما كان من إدارة المستشفى إلا أن أبلغت الجهات الأمنية ووزارة الصحة. وتم التحفظ على جميع أفراد عائلة المريضة، وكل من رأوها لدى وصولها، وتمت مراجعة بيانات الرحلة الجوية التي جاءت بها، وتبيّن انتقال المرض لإحدى المضيفات التي كانت بخدمتها، وتم فرض حجر صحي على جميع أفراد أسرتها الذين قابلوها، وكل من اتصل بها عند وصولها لسنغافورة، بل تم مناشدة ركاب نفس الرحلة الجوية بالمسارعة لتسليم أنفسهم للفحص الطبي في إحدى المستشفيات التي خصصت لهذا الأمر، وبالفعل استجاب الركاب جميعهم للنداء فيما عدا راكبين، وظلت وسائل الإعلام تعلن عن اسم الراكبين وتنادي من يعرفونهم بالإبلاغ عن مكانهما فوراً، وكأنهما متهمان هاربان من العدالة.

وكان مدهشاً أن تخصص وزارة الصحة موقعاً خاصاً لأخبار السارس يومياً، وعدد المصابين فعلياً به، تخيلت أنهم على وشك رصد مكافأة سخية لمن يرشد عنهما.

سادت البلاد حالة من الذعر، وكان بعض من يصابون بالبرد يخشون الذهاب لطبيب كي لا يشك في حالتهم أو يخضعهم للفحص في المستشفى المخصص لذلك، فقد غدا الدخول للمستشفى في حد ذاتهخطراً داهماً، بعد أن بدأ المرض ينتقل لبعض العاملين في تلك المستشفى بسبب إمكانية انتقال الوباء عن طريق التنفس في الأماكن المغلقة، فإذا حدث مثلاً أن استقل حامل العدوى مصعداً كهربائياً في المستشفى فإن الميكروب يظل – والعياذ بالله –عالقاً بالجو داخل المصعد لفترة ما حتى بعد خروج الشخص حامل العدوى من المصعد. وكذلك انتقل الوباء إلى بعض العاملين بالمستشفى في الأماكن القريبة من المصابين، وصار العدد يتزايد يوماً بعد يوم كما كانت وزارة الصحة في موقع سارس على الإنترنت في جدول بين عدد حالات المصابين فعلياً بالمرض والموضوعين تحت الحجر الصحي، وعدد الوفيات.

كنا نلاحظ ازدياد عدد الوفيات يوماً بعد يوم، وعشنا في حالة من الذعر لكننا كنا على يقين من أن الله سيحفظنا من كل شر.

لم يعد الناس يركبون المصاعد الكهربائية، أغلقت إدارة مجمعنا السكني حمام السباحة وغرفة ألعاب الجمينزيوم، ارتدى بعض المواطنين الكمامات في السوبر ماركت والأماكن المزدحمة، خلت الحدائق والشوارع من المارة والسيارات تقريباً إلا في ضرورة، الناس في السوبر ماركت بدوا متجهمين يتحرك كل منهم في سرعة ونحو الهدف مباشرة، الجميع متوتر وحزين، وفي إحدى مرات كنا بالخارج بعد أن مكث الأولاد مدة طويلة بالبيت، ممنوعين من اللعب خارج المنزل، فاخترنا إحدى الشوارع للتمشية، وإذا بنا نلاحظ وقوف سيارة إسعاف فجأة أمام إحدى المطاعم ورجال

إسعاف مكممين، بعدها عرفنا من نشرة الأخبار أن ذلك المطعم قد أغلق بعدما اكتشتف حالة سارس بداخله، ونقل المريض مكمماً هو الآخر على نقالة في حالة يُرثى لها.

كما أعلن أيضاً عن اكتشاف حالة سارس بسوق الجملة، حيث تبيّن أن تاجراً مريضاً بالمرض لمدة طويلة، وكان يخفي ذلك كي لا يحبس في المستشفى، مما أدى إلىنقل العدوى إلى زوجته وأولاده، وبناءً عليه، تم غلق السوق ودعوة المواطنين الذين ترددوا على السوق لمدة أسبوعين سابقين بتسليم أنفسهم للفحص الطبي.

ممنوع المرض

ولما كانت المستشفيات أصبحت مصدراً لبث المرض بعد أن انتقل المرض إلى بعض العاملين بهما من أطباء وممرضات، بل وزوار انتقل إليهم المرض لمجرد وجودهم في المستشفى مما جعل الناس يخشون الذهاب إلى المستشفيات، مهما كلت شكواهم الطبية بعيدة كل البعد عن أعراض السارس خوفاً من انتقال العدوى.

ودعت الحكومة في وسائل الإعلام، أن على كل من يعود من المناطق الموبوءة، أن يقوم بعمل فحوص طبية، إذا شعر بحرارة أو سعال أو أعراض برد.

بعدها جاء (ليم) جارنا ليلعب التنس مع زوجي، وقد عرف منه أنه لتوه عائد من رحلة عمل في جنوب الصين، حيث المنطقة الموبوءة، رجوت زوجي ألا يلعب معه وأن يعتذر له، ولكنه قال لي: ربنا سيحفظنا بإذن الله.

سارس يا مدارس:

عندما أغلقت المدارس والجامعات خضعت الأبنية التعليمية لحملة تطهير وتنظيف هي الأخرى، وبلغ اهتمام الدولة أن أذاعت ذلك بالصورة؟ كان عمال النظافة بالمدارس يقومون بغسل الحوائط ومكاتب ومجالس الطلاب، بأفضل المطهرات، وذلك حرصاً على سلامة الأولاد.

بعد استقرار الحالة نسبياً في البلاد، أذاع وزير التعليم من خلال وسائل الإعلام عمل استبيان للجماهير، على فتح المدارس أم مد فترة إغلاقها، وذلك عن طريق رسالة SMS على الموبايل لنمرة وزارة التعليم.

بالإجابة على سؤال: هل توافق على إرسال أولادك للمدرسة في اليوم الفلاني أم لا، وجاءت نتيجة الاستبيان أن معظم الآباء لا يريدون إرسال أولادهم إلى المدارس في تلك الفترة، فما كان من وزير التعليم إلا أن قرر أن من يريد إرسالهم فليفعل، ومن لا يريد فإن المدرسين سيقومون بإرسال الواجب المطلوب بمذاكرته على الإنترنت، من خلال مواقع مدرسة على الإنترنت، ويقوم الأستاذ بتصحيحه على الإنترنت، ثم إعادة إرساله للطالب مرة أخري مع ملاحظات الأستاذ عليه.

كانت سنغافورة أرضاً وشعباً وحكومة تقتل نفسها كي تتخلص من فيروس سارس، وشيئاً فشيئاً تم حصر الأعداد المصابة والموضوعين تحت الحجر الصحي.

وبفضل الله ثم الجهد الذي بذلته الحكومة، تم الخلاص من مرض سارس، مع ترك فترة أمان شهر، وقبل انتهائه ظهرت حالات أخرى منه، بعضها توفاها الله وبعضها استجاب للعلاج.

وقد احتفلت سنغافورة بانتهاء السارس، وأعلنت أنها في ذلك الوقت خالية من وباء سارس.

١٢- دعوة إلى حديقة الحيوان

لأنكم قراء مثاليون، ولأنكم تتابعون بصبر فسأدعوكم في رحلة إلى حديقة الحيوان، SINGAPORE SOO LOGICAL، والحديقة من أهم المزارات السياحية في سنغافورة، وهي أول مكان بعد بيتي زرته هنا، عندما دخلتها لأول مرة شعرت أنني أعيش حقاً في جزيرة، فهي محاطة بالمياه في كثير من أجزائها وليس هذا فحسب، بل الخضرة الكثيفة والأشجار العملاقة التي تشعرني بضآلتي أمامها، لذلك أحببتها، أتصور أنكم ستحبونها أيضاً.

– إذن مستعدون؟ لنبدأ الجولة.

في مدخل الحديقة على اليسار، تجدون محلاً كبيراً لتذكارات الحديقة ولتذكارات سنغافورية وحيوانات صغيرة كلعب للأطفال، تخالونها كالحقيقية من شدة دقة صنعها، ولا أنصحكم بالشراء، فأسعاره باهظة جداً.

(مملكة الحيوانات) هذا اسمه، يشغل مساحة كبيرة، حوالي ٢٥٠ متر طولي، مكلل بديكورات حجرية جدارية بارزة للتاريخ الأسيوي، وتماثيل جدارية صغيرة لبوذا وأشخاص آخرين معه، وفي منتصف أعلى الواجهة، حفر عنوان المحل: ANIMAL KINGDOM حيث يظهر حوله رؤوس حيوانات كالأسد والنمر والحمار الوحشي والخرتيت.

أمام المحل وفي مواجهة مدخل الحديقة، غُرست شجرة كبيرة عتيقة، وقد انبثقت من حولها زهور الأوركيد البنفسجية لإدخال البهجة إلى قلوب الزائرين، وبداخله تُباع لعب للأطفال وهدايا تذكارية سياحية ممثلة لحيوانات الحديقة، يخالها الزائر من دقة صنعها حقيقية.

لا داعي لأخذ ترام الحديقة، فمن الأفضل أن نسير على الأقدام لنشاهد كل شيء، سنعرج يساراً لندخل إلى ممر قصير يؤدي بنا إلى ركن خاص بالقردة، وكما ترون هم هنا طلقاء نوعاً ما، فهم فوق الأشجار العملاقة لكنهم يقتربون منا الآن، ويقومون بعمل حركات بهلوانية أمامنا، هل ترون ذلك القرد الصغير الذي يجلس ممتطياً اللافتة الخشبية التي تشير إلى ركن القردة؟ لكأنه يتقاضي راتباً على عمله ووقفته هذه فوق اللافتة.

أمامكم الآن مجموعة من القردة السوداء الكبيرة، تتأرجح ببراعة بين أغصان الأشجار العملاقة، يفصلنا عنها سور قصير وبركة ضحلة، لن يخشاها القرد إذا ما قرر القفز فوقها أقصد فوق رؤوسنا، دعونا نكمل السير في ركن القردة حتى نصل إلى الفصيلة التالية، وهي فصيلة "بلاك هاولد" موطنها جنوب أمريكا، وسميت بذلك لأغنياتها المميزة التي ينادون بعضهم بها، ويحذرون بعضهم، اللون الأسود

للذكور واللون البني للإناث. وهذه الفصيلة أصغر في الحجم من الفصيلة السوداء الأولى، يتأرجحون على أغصان أشجار قصيرة، يشبهون الأطفال الصغار في لعبهم، يفصل بيننا وبينهم البركة الضحلة غير أنها تتسع قليلاً ، وإذا أمعنتم النظر في مياهها سترون الأسماك البرتقالية اللون المشهورة في سنغافورة، كما ترون رؤوساً خضراء صغيرة تطل منها، هي رؤوس السلاحف المائية الصغيرة –سأحدثكم عنها بعد قليل – يبدو أن حظنا جيد، يحين الآن موعد إطعامهم، تفضلوا الآن بالجلوس على هذه المقاعد الخشبية الجانبية؛ لكي نشاهد ما يجري، يأتي الحارس الهمام ليعبر البركة الضحلة بقدميه، ويرفع رأسه إلى أعلى ويمد يده لمصافحة القرود التي تنزل مقتربة منه، دون خوف لتصافحه ثم تقفز لأعلى الشجرة، وبعد أن يفرغ بعض ما في جعبته– بندق ولوز وفول سوداني – في صندوق خشبي من القطع المتوسط أسفل إحدى الأشجار القصير التي تتمركز فيها فصيلة (هاولد)، يعبر البركة بقدميه متجهاً لإطعام فصيلة أخرى على مقربة منا.

هل ترون هذا المشهد العجيب؟ لا تتدافع القرود إلى صندوق الطعام، بل ينزل أحدهم ليضع يده في الصندوق غير المغطى، ليأخذ بعض البندق ويعود إلى حيث مكانه، ثم يأتي قرد ثان ويفعل نفس الشيء ثم يعود أدراجه، وهكذا يتقدمون بذوق عجيب الواحد تلو الآخر، لا أعرف إن كانوا تدربوا على ذلك النظام من قبل، أو أن تلك هي (سِلو فصيلتهم)، لقد غلبت القردة الإنسان يا سادة!!

نعود للبركة، حيث يسبح فيها أنواع مختلفة من الأسماك، نوع رمادي اللون، ونوع آخر تمتزج فيه خطوط اللون الأورجواني باللون الأبيض، وهذا النوع من السمك هو من الأسماك المشهورة في سنغافورة، فهو رمز الرزق والثروة، وهذا هو سر

ولع السنغافوريين به، فكثيراً ما تجدونه في لوحات تشكيلية جميلة تُباع بمئات الدولارات السنغافورية.

أما الرؤوس الصغيرة التي تطل من صفحة مياه البِركة، فهي للسلاحف المائية الصغيرة التي لا تلبث أن تغطس، فتسبح بمهارة فائقة، وتشارك أسماك البركة في حياة يملؤها الود والانسجام الكامل والمسالمة، أما القردة الأشقياء فتلمحهم يرقبون مشهد البركة بما فيها، وحركة زوار الحديقة المارين أمامهم، ترى أتستمتع تلك القردة بمشاهدتنا والزوار كما نفعل نحن؟

بين الحين والآخر يأتي زائر ليلتقط بكاميرته بعض اللقطات ثم يذهب – عفواً للمقاطعة: لا أتحمل الوقوف هنا كثيراً، بسبب الحساسية الجلدية التي بدأت تغزو جلد قدمي، بسبب انتشار جبوب اللقاح الكثيفة المتطايرة بين الأشجار الخضراء العتيقة منذ عشرات السنين، فسأضطر للنهوض ومغادرة ركن القردة، ولتتفضلوا معي لمكان آخر، فهذا الممر الممتد أمام ركن القردة يؤدي بنا إلى ركن المطاعم، على اليمين ستجدون مطعماً في الهواء الطلق فقط للوجبات السريعة (غير الحلال) كما تقول للافتة الموضوعة أمامه، حيث تُباع الأكلات السنغافورية والغربية، ولكننا أحياناً كنا نتناول فيه وجبات الخضروات الخالية من أية لحوم أو أسماك، أما إذا اتجهنا للأمام فسنجد مطعماً هندياً آخر يتميز ببيع الوجبات الهندية الصفراء الحارة – لم يكن حلالاً من قبل، ولكنه أصبح حلالاً الآن أفهم ذلك من تلك اللافتة الجديدة التي وضعوها أمامه، وكان لي حسن الحظ بتناول الأرز البرياني وفطائر الروتي براتا التي تشبه الفطير المشلتت عندنا، ولكنه أرق بكثير ويقدم مع صوص الكاري.

أما FOREST FAIR أو معرض الغابة وهو اسم المطعم الثاني، ففيه ثلاثة أقسام، قسم للمأكولات الغربية كالمكرونة واللازانيا، وقسم للسندوتشات، وقسم ثالث للمأكولات الصينية مثل (CHIKEN RICE) وهو عبارة عن أرز مسلوق في مرق الدجاج بالبهارات الصينية وصوص الصويا، ويقدم معه دجاج مسلوق مع صوص الشطة وصوص الثوم (FRIED VIGETANLES) وهو عبارة عن خضروات مشكلة مع نبات الحلبة المنبتة والبصل والثوم، وتشّح في قليل من الزيت وصوص الصويا حتى النضج.

– كم الساعة الآن يا ترى؟

–إنها الواحدة والنصف ظهراً، فنسرع إذن لمشاهدة إحدى عروض الحديقة هنا، عرض (روح الغابة)THE SPIRIT OF THE FOREST، وسيكون أحد أبطاله غوريلا لطيفة جداً اسمها "ميري"، هيا بنا، من هنا سيكون المكان أقرب.

– لنجلس، فالمقاعد الشاغرة كثيرة على هذا المدرج الدائري الكبير، وفي أسفل المدرج صمم مسرح حجري صغير للعرق الحي، ها هو مقدم العرض أرجو لكم مشاهدة ممتعة. إنه شاب هندي في مقتبل العمر يرحب بالجمهور ويخاطبهم: انظروا أيها السادة إلى عينيه الدقيقتين اللتين تشبهان عين القطة، ذلك الثعبان الهندي! إنه يجيد السباحة في الماء، يقول مقدم العرض ويلقي بالثعبان في حمام السباحة الزجاجي الصغير الموجود بساحة مسرح العرض.

– يا إلهي!! أرجوكم لا تلتفتوا إلى الوراء، ولا إلى أعلى، إنه القرد الأسود من أبطال العرض، أطلقه أحدهم ليحلق فوق رؤوس الجمهور، متشبثاً بالحبال وفروع

الأشجار، المثبتة بسقف ساحة العرض التي نجلس بها الآن، ليقوم بحركات بهلوانية في الهواء متشبثاً بتلك الحبال..

-عفواً سأنتقل إلى مقعد آخر، لا تنسوا أنكم في جو استوائي حار، الحرارة اليوم ٣٦ درجة مئوية.

وننتقل إلى فقرة أخرى من العرض يقول المقدم: (هذه هي ميري ١١ عاماً، الغوريلا الشهيرة في الحديثة لطيفة هادئة).

- تقفز الآن من الأرض في قفزة واحدة إلى أعلى، لتصل بيدها الطويلة المشعرة إلى الفروع المتدلية من سقيفة ساحة العرض، وهي بالطبع في الهواء الطلق، وليست معلقة - فتنتقل بأيديها من فرع لآخر فوق رؤوس الجمهور، وسط صيحات الإعجاب والخوف من سقوطها فوقهم، فينادي مقدم العرض: (أيها السادة فضلاً أغلقوا أفواهكم). ويتمتم وهو يبتسم: (حتى لا يدخل بها ما لا يعجبك مذاقة)!

الآن تُجرى مسابقة بين أحد المتطوعين من الجمهور و"ميري"، هل يود أحدكم التطوع؟ أم.. فأتت الفرصة، لقد اختار مقدم العرض متطوعاً آخر ضخم الجثة من أستراليا، يشرح مقدم العرض المسابقة، بعد أن يناول المتسابق ثمرة جوز هند، ويطلب منه أن يحاول تقشيرها بالسكين بسرعة وقبل الغوريلا "ميري" التي ستحاول هي الأخرى تقشير ثمرة جوز الهند التي في يدها.

تبدأ المسابقة وينقسم الجمهور إلى فريقين مشجعين، ترى من ستشجعون، المتسابق الأسترالي أم ميري؟

- آه، لقد فازت ميري، بعد أن قشرت بمخالبها وأسنانها الثمرة في ثوان، في حين نجح المتسابق في إحداث مجرد شق بسيط في القشرة الخارجية لثمرة جوز الهند.

– هذا النوع من الثمار منتشر بكثرة هنا حيث البيئة الاستوائية، وله عدة أنواع، وهو مكون من ثمرة ذات قشرة سميكة جداً من الشعيرات البنية، وبداخلها تجدون طبقة من جوز الهند اللين، وشراب لذيذ ملء الثمرة، سأدعوكم عليه ذات مرة يصفق الجمهور بحرارة لميري، يهدي مقدم العرض ثمرة جوز الهند للمتسابق، في حين اتخذت ميري جانباً لتأكل ثمرة جوز الهند وتستمتع بشرابها اللذيذ.

ينتهي العرض وأرجو أن تكونوا قد استمتعتم به.

وكأي عرض يتسابق الجمهور بعده لتحية نجوم العرض عن قرب، ها هم زوجي والأولاد يسرعون لمشاهدة الثعبان الأصفر الكبير أحد أبطال العرض، ويتحسسون جلده المجعد السميك بعد أن أحكم مقدم العرض قبضته حول رأسه. أما النجمة ميري فيمكنكم الذهاب لتحيتها، بل وأخذ لقطات تذكارية معها، ولكن ليس الآن، فقد تعبت قليلاً من العرض، وستذهب لتستريح لدقائق، وتضع مكياجها ثم تعود إليكم في مكان مخصص لها، لا يبعد كثيراً عن مكان العرض، وهو مكان مخصص للقاء معجبيها، والتقاط الصور معها، وسيكون معها أيضاً طفلها الصغير وقد يظهر معكم في الصورة، وهو يلعق اللبن من ثدي أمه، ولكن يجب حجز تذكرة تصوير مع ميري من ذاك الشباك، لا عليكم سأدعوكم أيضاً إلى هذه الصورة وسأدفع ثمن التذاكر، ولكن تذكروا أن هذا الكرم هذه المرة فقط، وليس كل مرة.

أم تراكم تريدون امتطاء الحصان مع ابني آمن؟ ولكن فتأخذوا الحصان الكبير البني ولتتركوا ذلك الصغير لابني، سيأخذكم الحصان في جولة لمدة ٣ دقائق ثم يعيدكم، انظروا إلى هذه السيدة الهندية، ترتدي الساري الهندي الجميل اللون،

مطرزة أطرافه بورود ذهبية رقيقة، وهو مكون من قطعتين، علوية تلف الصدر وترتفع عن الوسط، وسفلية تلتف حول الوسط وحتى القدمين، ورغم أنها تبدو في الخمسين، إلا أنها تحتفظ بضفيرة شعر طويلة، يمكنها أن تجلس عليها، والهنود كما تعلمون إما سكان هنا أو سائحون.

لا تتعجبوا من ذلك الوشم البارز فوق جبهتها بين الحاجبين، فتلك النقطة الحمراء (الوشم) قد يلفت النظر إليه بعيداً عن النظر إلى جمال العينين –درءاً للحسد – كما في الاعتقاد الهندي القديم، وأيضاً ليميز السيدة المتزوجة، فلا يتقدم لخطبتها أحد إذا ما رأى ذلك الوشم بين حاجبيها.

– مازال هناك طابور طويل على ركوب الحصان، ما رأيكم في آيس كريم؟

هذه المرة على نفقة زوجي، سيدعونا جميعاً عليه، أتفضلون الشيكولاتة أم الفراولة؟ لا أنصح بالأزرق اللون، فكله ألوان صناعية.

أخيراً اقترب دور ركوب الحصان، فأنتظركم هنا حتى تأخذوا نزهتكم عليه، كما سأنتظر الباقين الذين ذهبوا لالتقاط صور تذكارية مع "ميري"، سأستغل الوقت و(أدردش) مع تلك السيدة السنغافورية المسلمة لأجمع بعض معلومات لهذا الكتاب.

تمنياتي بجولة سعيدة

دعوة ثانية إلى حديقة الحيوان

مرة واحدة لا تكفي لزيارة حديقة الحيوان، تفضلوا معي إلى ركن آخر (لكن الأورانجوتان) وهو نوع آخر من القردة، ويمكنك قراءة هذه اللافتة الخشبية القائمة

في مقدمة الركن والتي تقول: (تفخر حديقة حيوان سنغافورة وتعتز بتبنيها لنوع فاخر من الأورانجوتان، المستقدم من جزيرة سومطرة بواسطة هيئة (H S B C).

ولعلك تتساءل عن سبب فخر إدارة الحديقة بذلك النوع من القردة، ذلك أنه أكبر حجماً وأكثر ذكاءً وحكمة من بقية أنواع القردة، يعيشون كما ترون في مجموعات عائلية، انظروا لتروا معي ذلك القرد الكبير، والذي يبدو عليه أنه كبيرهم، الجد مثلاً يليه قردان أصغر سناً يجلسان بجواره، ثم قردة صغار يلعبون كما يلعب صغارنا، وهذا النوع هو أول نوع من القردة، يتناول الطعام والفواكه بأدوات خشبية صنعوها من أفرع الأشجار، على هيئة تشبه الشوك، انظروا إلى هذا القرد الذي يتناول ثمرة برتقال بعصا طويلة، ثم يستخدم أخرى قصيرة لتقشيرها، ثم يرمي القشر بعد ذلك بطول زراعيه، يااااااه ما هذا؟

يبدو أن مشاجرة نشبت بين اثنين منهم، فإذا بجميع عشيرة القردة تهب إلى مكان المشاجرة هناك لافتة خشبية أخرى بالقرب منا تقول: (من فضلك إذا كنت مريضاً ابتعد عن الحيوانات فهي لا تقوى على مقاومة المرض).

سنتقدم معاً بالسير في الممر الرئيسي للحديقة، تك تك ، تك تك ، إنه صوت الحنطور الإنجليزي!

نسيت أن أذكر لكم أن إدارة الحديقة جلبت عربتي حنطور من إنجلترا لكي يتنزه فيهما الزوار، أعتقد أن تذكرة الحنطور للكبير بـ١ دولار سنغافوري وللصغير بـ٨ دولارات فقط، هل منكم من يريد امتطاء الحنطور؟

ونظراً لأن الحديقة تحتل طرفاً مميزاً من جزيرة سنغافورة، فمن الطبيعي أن نستمتع جميعاً بمشهد ARDEN WITHA VIEW، وهو مكان على جانب

الممر الرئيسي للحديقة، لا يسعنا إلا أن نجلس هنا ونمتع ناظرينا بمشهد بحر الصين الجنوبي، وخيالات جزر بعيدة خضراء تلوح في الأفق، ونتأمل صفحة المياه الرمادية وهي تتلألأ في سكون تحت أشعة شمس دافئة، وطيور بيضاء تهبط كل حين لترتوي من مياه البحر الهادئ، لا يزعجكم صوت الترام المار من خلفنا، ولا ذلك الغناء الهندي لرجل من حراس الحديقة، انظروا هذه المجموعة من الطيور البيضاء الكبيرة التي تشبه طائرة الفلامنجو، وهي تتكاثر بالقرب من مجلسنا على الأرض الخضراء، لا تتعجبوا سيأتي الآن حارس الحديقة ليقدم لهم وجبة الغذاء، سمك صغير أخضر، فهم يحفظون ذلك الموعد عن ظهر قلب.

يمكننا أيضاً مشاهدة إحدى عروض الحديثة الأخرى، كعرض المزرعة ودواجنها وكلابها، أو كعرض كلب البحر الشقي الذي يجيد رقصة مايكل جاكسون، أو مشاهدة وقت إطعام بقية الحيوانات، كما هو مبين بالكتيب الخاص بالحديقة بين أيديكم، كالدب الأبيض القطبي الذي نجحت إدارة الحديقة في تكييف المكان الخاص به، ليكون بنفس حرارة القطب الشمالي، ليعيش فيه رغم أننا على خط الاستواء تقريباً، أو حضور وقت إطعام الأسود، حيث تُلقى لها قطع اللحوم الحمراء فيتسابقون لالتهامها، الأمر مُحير بالفعل، لذا سأقترح عليكم أن تذهبوا لإطعام الفيلة، هاهنا، حيث يشتري كل منكم سلة من ذلك الحارس بـ٥ دولارات سنغافورية، تحتوي على قالب كيك وتفاحتين وبعض الموز هي طعام للفيلة، فما عليكم إلا أن يرفع كل منكم يده لأحد الأفيال ليلتقط ما بها ويبتلعها دون مضغ، بالهناء والشفاء.

١٣- حديقة الشاطئ الغربي
"THE WEST COST PARK"

سنذهب لنزهة قصيرة إلى الشاطئ الغربي لجزيرة سنغافورة، وهو عبارة عن منتزه كبير يمتد على مساحة مترامية الأطراف، تكسوها النجيلة الخضراء الجميلة، وقد خصص عليها مكان كبير للألعاب المختلفة، تتيح للصغار التسلق والتأرجح والقفز ولعب كرة القدم والبادمنتون (وهو يشبه رياضة التنس، فيما عدا الكرة التي تستبدل هنا بريشة صغيرة بيضاء).

وفي وسط جو لطيف نسائمه ربيعية، نتأمل ساحل بحر الصين الجنوبي المتصل بالمحيط الهادي الأسيوي، حيث المياه هادئة تماماً.

تصطف على الشاطئ الغربي (ويست كوست) وسط الحشائش الخضراء، شجيرات نخيل كثيفة ترسل بعض فروعها للسماء والبعض الآخر يصافح الأرض الخصبة، تهتز على غير العادة تلك الفروع المورقة بفعل تيار الهواء اللذيذ النادر في سنغافورة، يتهادى طائران من طيور سنغافورة الأنيقة – طيور سوداء بمناقير صفراء

أورجوانية – يلقيان نظرة إلى البحر، يلتقطان أنفاسهما، ثم يعاودان الطير من جديد، في حين تنتشر على صفحة البحر الهادئ مراكب صيد صغيرة ولانشات كهربائية بيضاء فارهة، تلُوح في الأفق من بعيد أجزاء من مدينة جورونج الصناعية بأبراجها ومداخنها العملاقة، التي تقع في أطراف سنغافورة، سنتجول هنا، ولعلكم تستمتعون إلى غناء صيني من تلك الأسرة التييبدو أنها جاءت لتقضي وقتاً طيباً في ذلك الكوخ الخشبي المفتوح هناك بالقرب من ساحل البحر.

تنتشر شجيرات قصيرة القامة ورمال صفراء خشنة – مستوردة من ماليزيا – فجزيرة سنغافورة بطبيعتها ليس بها مساحة رملية إلا قليل.

بعد زلزال تسونامي الذي ضرب جزيرة سومطرة – وهي قريبة من سنغافورة –في ديسمبر عام ٢٠٠٤، لاحظت أن عدد مرتادي الشواطئ هنا قد قل ربما تحسباً من زلزال مشابه في المنطقة، غير أن مياه الشواطئ السنغافورية – وهي شواطئ بحر الصين الجنوبي – تمتاز بهدوئها الشديد، حتى أنها لتبدو كمياه راكدة، بل هي صورة باهتة من مياه شاطئ البحر الأحمر ببلادنا، ربما تلمحون بعض مراكب الصيد المتواضعة وهي تحط إلى جوار الشاطئ.

تأملوا معي هذا المكان، وأرسلوا أعينكم لتسبح في هذا البساط الأخضر الممتد، يتخلله ممران طويلان دائريان حول البساط الأخضر، هذا الممر للدراجات فقط، وربما تلاحظون علامة الدراجة المرسومة على الأسفلت، ولعلكم تلاحظون النباتات التي تشق الأسفلت، لتنبت رغم أنف الجميع.

أما الممر الأسفلتي المجاور فخُصص للمشي فقط، وقد رسم على أرض مدخله قدمان كبيرتان، فمن الأغراض الرئيسية لإنشاء هذا المنتزه ومعظم المنتزهات

الخضراء هنا هو غرض التريُّضسواء صباحاً أو مساءً ، ولذا أدعوكم الآن للتريض، بالقيام بدورة كاملة في ممر المشي، والذي يدور حول المنتزه في شبه دائرة لمسافة كيلو ونصف متر، مرقمة على الأرض كل مائة متر.

مما يثير الإعجاب أيضاً أن يكون كل هذا المنتزه الكبير في الشاطئ الغربي للجزيرة؛ هو عبارة عن مساحة مردومة من البحر منذ سنوات، وهذا الأمر شائع في البلاد صغيرة المساحة التي تطل على مسطحات مائية واسعة، وهناك بعض المناطق في سنغافورة تم توسعتها عن طريق ردم البحر. ومن المعروف أن عمليات ردم البحر تستغرق سنوات حتى تكتمل، ناهيك عن تكلفتها الباهظة، كما توضع المنطقة المردومة تحت الاختبار لمدة حوالي خمس سنوات، بعدها يبدأ في زراعة الحشائش الخضراء، أو تخصص فيها أماكن لركن السيارات حتى يتم اختبار مدى ثبات الأرض، وبعدها يمكن عمل بنايات منخفضة الارتفاع، أو استخدامها كمتنزهات للمواطنين وأطفالهم وهو الاستخدام الأكثر شيوعاً.

سأقص عليكم واقعة تحضرني الآن عن هذا المكان، عندما شاهدت بالمصادفة إحدى الاحتفالات الدينية البوذية، جاءت إلى هنا مسيرة من رجال دين بوذيين يلتفون بملابسهم الأرجوانية، وبعض المواطنين والأطفال، وكانوا على ما يبدو قادمين من إحدى المعابد البوذية، وانضم إليهم من انضم من رواد المنتزه، كانوا يتقدمون في سيرهم على إيقاع الطبول والأجراس التي تبدو غريبة على أسماعنا، كانوا يتجهون إلى الشاطئ تتوسط الجمع سفينة كبيرة يتبارون في حملها على أكتافهم، مصنوعة من القماش الملون بالأحمر والأصفر والذهبي، ومزركشة بنقوش وكتابات صينية ربما كانت أدعية، وما إن وصلوا إلى طرف الشاطئ تقريباً من مياه البحر،

حتى استقروا بأمتعتهم وسفينتهم القماشية، وانهمك كل شخص في أخذ مشاعل صغيرة في صورة ورود مصنوعة من السلك والقماش، تتوسط شمعة، ويشعل الجميع شموعهم ثم يقرأون بعض الترانيم بالصينية، ثم يرسلونها لتسبح في مياه الشاطئ بسلاسة وانسياب.

كان مشهداً عجيباً وأنا أراهم ينحنون ويتناولون وحدات من البرتقال وحفنات من الأرز والفاكهة، ويملأون بها السفينة، ثم يشعلون النار بكل هذا، ويدفعون السفينة المشتعلة لتسبح في مياه البحر ويرقبونها وهي تبتعد بنيرانها التي أخذت تتأجج، وتظل هكذا تنشر أدخنتها ورمادها في كل مكان في المنتزه حتى يتعبأ الجو بهذه الروائح وذرات الرماد، وتزكم الأنوف برائحة الحريق؟ المحببة بالنسبة لمعظم السنغافوريين؛ لأنها (ربما) تحمل لهم راحة البال أو البركة، بركة رضاء بوذا عليهم، وراحة البال من الأشباح التي أطعموها وأحرقوا لها الفواكه والأرز في السفينة؛ لتصل إليها في السماء فتتركهم وتبتعد عن أحيائهم.

سقوط كبير

والشاطئ الغربي مكان مثالي لركوب الدراجات، فهناك ممر خاص كبير لممارسة رياضة ركوب الدراجات والتزحلق بأحذية التزحلق، وعادة ما تجد أسرة سنغافورية ترتدي أحذية التزحلق ويتسابقون معاً في مرح وفرح.

كل هذا دفع زوجي وأولادي إلى أن يلحوا علي في محاولة ركوب الدراجة، التي فشلتُ أن أتعلمها في طفولتي، وكأن من لا يجيد ركوب الدراجات لا يجيد فن الحياة: (لا تخشي السوق من الدراجة، وإلا لن تتعلمي) هكذا أوصاني ابني كريم،

وترددت هذه الكلمات في أذني حتى تمكّنت من تحريك الدراجة وقيادتها لبضعة أمتار، وشعرت كم هي جميلة، فجأة اختل توازني ولم أنجح في الوقوف بها وهي سريعة، سقطتُ!!

سقطتُ من الدراجة سقوطاً كبيراً، وارتطمت بالأرض الأسفلتية، ويدي اليُمنى من تحتي، ورحت في شبه إغماء، جرى إلي وقتها زوجي وأولادي، وسحبوني إلى شجرة عتيقة كحال معظم الأشجار لأستند إليها بظهري، ظللت بضعة دقائق حتى تمالكت نفسي قليلاً، ثم ساعدوني على النهوض؛ لأصل لمكان السيارة على بعد أمتار، وتحت وطأة الألم الشديد في يدي وذراعي وصدري سارعنا إلى المستشفى، قسم الطوارئ، حيث أجلسوني على كرسي متحرك كي أذهب إلى غرفة الطبيب المختص، الذي قام بفحص ذراعي ويدي اليُمنى التي تحّولت إلى كرة كبيرة متورمة ومنتفخة، يغلب عليها اللون الأزرق، يتخلله بعض الاصفرار والحُمرة، ثم أجرى لي مجموعة من الأشعات، حتى ثبت بعدها أن المشكلة في يدي اليُمنى وحدها، جزع شديد ولكن دون كسر، والحمد لله. وما شعرت به من آلام في الذراع والصدر كان من شدة الارتطام بالأرض.

كان من المفروض كما الحال في مصر أن توضع يدي في الجبس، مادمت لا أستطيع تحريك أصابعي ولا فتح قبضة يدي؛ ولكنهم وضعوها في رباط ضاغط، ثم أوصاني الطبيب برفعها إلى أعلى دائماً. ظللت بعدها أتابع العلاج الطبيعي ليدي مع الأطباء لمدة عام تقريباً، حتى عادت إلى وضع أقرب للطبيعي، ولكن ليس كما كانت في البداية. بعد عام تقريباً حاول أحد الأطباء إقناعي بإجراء أشعة خاصة، تستلزم أن أدخل بجسدي كله في جهاز يشبه التابوت الضيق، يخلو إلا من فتحة

صغيرة من جانبه الأيمن، فتحة بحجم وجهي كي أرى من بالغرفة، وأظل هكذا لمدة ٤٥ دقيقة لمعرفة ما إذا كان وضع يدي يحتاج لجراحة أم لا.

رفضت بالطبع بعد أن حاولت الدخول فيه ولم أطق دقيقة واحدة وهو مظلم وكئيب، ثم إن الأمر لا يستدعي كل هذا، كما أن هذه الأشعة باهظة الثمن بـ٥٠٠ دولار سنغافوري، في النهاية نصحتني صديقة مصرية كبيرة في السن بأن العجين والخبيز هو أفضل علاج طبيعي ليدي.

١٤- البوتانيكال جاردن
"THE BOTANICAL GARDEN"

من أحب الأماكن إلى القلب، تلك الجنة الصغيرة التي يتوه المرء في بساتينها عن طيب خاطر ليستمتع بسحر الطبيعة الساكنة وعناصرها الحية.

أدعوكم الآن إلى زيارة البوتانيكال جاردن، أشهر الحدائق السنغافورية ومن المعالم السياحية بها، ولهذه الحديقة معي حكايات وأقاصيص، وسنذهب بالتحديد إلى ركن الإيكو – ليك – ECO LAKE بحيرة الصدى – حيث تسبح بضعة بجعات سوداوات اللون حُمر المناقير، حيث سرب الحمام القابع فوق الحشائش الخضراء، حيث الكوخ الخشبي الصيني الطابع الذي ينتشر في أرجاء الحديقة.

– أتفضلون التنزه في ممراتها، أم التريض كما يفعل معظم مرتادي الحديقة؟

– تعالوا معي أولاً إلى مكاني المفضل.

أجلس الآن على هذه الأريكة الخشبية العتيقة، انظروا معي إلى المشهد الرائع لبحيرة الصدى وتلك البجعة السوداء السابحة وحيدة في مياهها الرائقة، تحيطها

المساحات الخضراء الشاسعة، ومسطحات الحديقة المرتفعة باللون الأخضر حيناً، والهابط بالزهور الصفراء والحمراء حيناً.

ستشعرون أنكم حقاً في جزيرة سنغافورة، حيث تختلف مستويات الأرض دائماً، وتندرج في ارتفاعاتها وانخفاضاتها، روابي شديدة الاخضرار، لا تلتفتوا إلى هذه اللافتة المعدنية ذات الطلاء الأبيض، تقول: (نرجو عدم إطعام حمام أو بجع البحيرة). وهم يرون أن إطعام هذه المخلوقات البريئة قد يضر بها، أو يلوث ماء البحيرة، فيظهر الحديقة بمظهر غير لائق.

عادة أنا لا ألتفت لهذه اللافتات – لكم في كل ذات كبد رطبة صدقة – هناك حديث عن الرسول صلي الله عليه وسلم بهذا المعنى. ولذا سأقوم بإطعام الحمام والبجعات السوداوات ببعض فتات التوست أو البسكويت، وما هي إلا لحظات حتى يلتف حولنا الحمام والبجع وقد ينقرون أقدامنا ببراءة، فهم لا يخشونا.. وسينطلقون وراءنا في كل مكان ويتبعوننا في كل خطوة، حتى إذا ابتعدنا عن ركن البحيرة يعودون أدراجهم.

أتسمعون هذا الصوت؟ إنه تغريد طائر أسود بعيد فوق الأشجار العالية، غراب سنغافورة، ربما لم يحبذ البعض صوته الرفيع الحاد، لكنه لا يمثل لي نعيقاً أبداً، بل ترحيباً بزوار الحديقة وبنا.

الجو اليوم في منتهى الجمال والروعة، وهو شيء نادر الحدوث هنا، ولذا فضلت اصطحابكم في هذا اليوم، فأنا لا أمل أبداً من زيارة البوتانيكال جاردن، في الصباح الباكر أو في الخامسة مساءً كما هو الحال اليوم، ونظراً إلى أنه يوم الأحد، العطلة الأسبوعية المعتادة، فإن الحديقة تزخر بالزوار كما ترون، هذان زوجان

سنغافوريان يفترشان الأرض بجانب البحيرة، بينهما طفل رضيع يعبث (بالببرونة)، الأب مشغول في محادثة هاتفية بجواله، في حين تهنهن الأم صغيرها بحنان.

على يمين البحيرة، صبية صغار يقفون مراقبين لحمام الحديقة، الذي التف حول أرجلهم الصغيرة ينتظر لعلهم يرمون لهم ببعض فتات الخبز.

هذا رجل غربي يتريض هو وكلبه معاً بكل نشاط وحيوية، فيجري ببطء ويجري الكلب بجواره.

عدد كبير من الأسر السنغافورية والغربية يفترشون الأرض فوق الحشائش الخضراء، كل على حدة، يتناولون بعض الأطعمة، في حين يلعب البعض بكرة القدم على البساط المترامي الأطراف بالحديقة، وكأن سنغافورة دولة كبيرة بحق كما يتراءى لي عندما أجوب في حدائقها وغاباتها الواسعة، السر أن نسبة الحدائق الخضراء تفوق نسبة المباني بالمدينة حوالي ثلاث مرات، فهي تشغل أكثر من ٥٠% من مساحة أرض الجزيرة.

زيارة ثانية للبوتانيكال جاردن

كان من المفروض أن نبدأ من المدخل الرئيسي للحديقة في المرة السابقة، ولكني فضلت أن آخذكم إلى مكاني المفضل أولاً، وهو بحيرة الصدى، ولكن هذه المرة سنبدأ من البداية، فعلى اليمين مباشرة بعد البوابة الرئيسية يوجد مكتب استعلامات، وبعض المحال الصغيرة التي تزخر بالتذكارات السنغافورية، وخاصة تذكارات زهور الأوركيد، التي تشتهر بها سنغافورة، وتعتبرها زهورها الوطنية.

على اليسار كافيتريا للزوار تقدم وجبات إفطار وغذاء على الطريقة الغربية، وفي المنتصف بين المحال والكافيتريا تقع نافورة ضخمة ينطلق منها الماء بلا توقف على صورة شلال صغير، تدفق مياهه كستائر قصيرة، تنثر رذاذاً لذيذاً أراه قد بلل وجوه بعضكم الآن.

البوتانيكال جاردن شأنها شأن الحدائق العالمية، إلا أن الطبيعة الأسيوية تطبع بصماتها الخاصة باخضرار شديد، وهي عبارة عن ممرات أسفلتية تشق بصعوبة البساط الأخضر الكثيف الذي يمتد في كل مكان، تجملها أشجار نخيل استوائية من مختلف الأنواع والأشكال، ومن شدة الاهتمام بالنبات، فقد وضعت لافتة معدنية أسفل كل نوع من الأشجار لتوضيع اسمه ومواصفاته والعام التي زرعت فيه لبيان العمر الطويل للأشجار، إلى جانب بعض الأكواخ الخشبية التي اتخذت طابعاً صينياً أسيوياً بالأسقف الدائرية المنحدرة.

توجد بالبوتانيكال جاردن أيضاً عدة بحيرات، ربما كانت صناعية لكنها جميلة للغاية تتميز بسلاحفها المائية الصغيرة، وبضع البجع الأسود والبط الأسيوي الذي يخرج أحياناً من البحيرة للتنزه بالقرب منها، فتكتمل لوحة من الجمال الرباني التي منحها الله لجزيرة سنغافورة.

تعالوا معي لنطعم الحمام والبجع وليلتفوا حول أرجلكم، إنها لمتعة حقاً إطعام هذه المخلوقات الضعيفة المسالمة.

تأملوا معي كيف يتعامل الحمام والبجع معاً وهم يقتسمون لقمة الخبز بسلام ووداعة، قد لا نجدها في بني الإنسان، ولكننا نتبينها في بني البجع والحمام.

اليوم عطلة الأحد الأسبوعية، ربما كان هذا مبرراً للزحام الذي يزيد قليلاً عنه في أيام الأسبوع العادية، فمن السابعة صباحاً تمتلئ الحديقة بالزوار من رجال ونساء وأطفال، حيث يبدأ كل منهم في ممارسة الرياضة اليومية المفضلة له، سواء أكانت مشياً أم جرياً أم "إروبيك"، حتى المسنين يتخذون ركناً بالحديقة لممارسة رياضة خفيفة، عبارة عن مجموعة من الحركات البطيئة جداً لتمرين الذراعين والجذع وسائر الأجزاء بلا جهد كبير، يقودهم في ذلك مدرب صيني على أنغام موسيقى صينية تنبعث من جهاز تسجيل بسيط خاص بالمدرب.

لا تندهشوا من كم الكلاب الموجود بالحديقة، أقصد الحيوانات الأليفة التي يصطحبها زوار الحديقة، فالبوتانيكال جاردن مكان مثالي للترويح عن النفس، ليس فقط للآدميين، ولكن للكلاب أيضاً.

مرة ثانية، ها هي (الإيكو ليك) بحيرة الصدى، مكاني المفضل بالحديقة، للأسف إن مقعدي المفضل على الأريكة الخشبية المواجهة للبحيرة مشغول، ربما علينا أن نبحث عن مكان آخر...

– انتظروا..لقد أصبح شاغراً الآن، سأسرع قبل أن يشغله غيري، ها أنا...أخيراً أجلس على مقعدي المفضل، أخرج أوراقي لأدون بعض أفكاري بإمكانكم التجوال في الحديقة، أو ربما تودون الجلوس بداخل الكوخ الخشبي بأعلى هذا التل الأخضر، يمكنكم منه مشاهدة منظر غاية في الجمال، يكشف مساحة كبيرة من الحديقة والبحيرة، ومشهد الحمام والبجعات السوداوات.

تستأذنني سيدة لتجلس بجواري على نفس الأريكة الخشبية، أسمح لها ببشاشة، بدت لي هندية من ملابسها المميزة، سألتها: هل أنت هندية؟

– أجابت: باكستانية.. اسمي (ثمينة) وأنت؟

– أنا سلوى، مصرية، هل تقيمين هنا؟

– نعم، يعمل زوجي بإحدى البنوك السنغافورية، وأنت؟

– أنا أيضاً مقيمة هنا، يعمل زوجي دبلوماسياً بسفارة مصر، منذ ثلاثة أعوام ونصف.

كان واضحاً لكونها باكستانية أنها مسلمة، فسألتها:

– كيف تحتفلون بالعيد هنا؟

– نذهب إلى الصلاة، ثم نجتمع مع أسر باكستانية أخرى في (الدار الهندية الباكستانية) كان يبدو أنها تشكيل ما للجاليتين الباكستانية والهندية هنا.

– نحن أيضاً نجتمع في بيت رجل سنغافوري من أصل عربي يمني – الحبيب حسن العطاس – رجل يمتلك مسجداً وتجارة، يفتح بيته لكل العرب المسلمين في اليوم الأول من العيد، ويمد لهم الموائد.

– في إطار ما يحدث في العالم على يد إرهابيين مسلمين، ربما يتردد البعض أحياناً في الإفصاح عن هويته الإسلامية!

قلت باعتزاز:

– ولم؟ أنا أقول لكل إنسان: إنني مسلمة، وأحاول قدر استطاعتي أن يكون سلوكي مع الناس لطيفاً طيباً كي أعطي صورة طيبة عن المسلمين.

– هل سمعت عمن يسمى (حمزة يوسف)؟

– لا لم أسمع به.

– إنه رجل دين أمريكي الجنسية، أسلم منذ مدة، وله الآن محاضرات كثيرة في الدعوة للإسلام، فصار من دعاة الدين الإسلامي في أمريكا، يدعو دائماً لتنقية القلوب، والإخلاص في العبادة لله، والإخلاص في التعامل مع الناس، ونزع الحقد والكره والضغينة من أنفسنا، كي نعطي دائماً صورة طيبة عن الإسلام.

– هذا جميل جداً، أكثر الله من أمثاله.

واكتفيت بهذا القدر من المحادثة بيننا، واستأذنتها لأعود إلى دفتري، كي أتابع ما يجري أمامي في مشهد البحيرة الخلاب.

ثم جلست أتابع هاتين البجعتين السوداوتين، وهما تتهاديان على صفحة الماء الصافية الناعمة، تسبق إحداهما الأخرى. ربما كان الذكر يسبق الأنثى فتتبعه في سلام ووداعة، وأجدني أتساءل في نفسي، لم لا نكون في مثل وداعة البجع ونستمتع بالعيش في هدوء وسكينة؟

تروقني تلك البطة الصغيرة، بنصفيها الأبيض والأسود، تقترب منها سيدة سنغافورية معها طفلتها، تتأملها، تستحي منها البطة الصغيرة، وتلوذ بالفرار، لتتبع وليفها الوسيم أسود الريش تماماً كحلكة الليل.

لعلكم تسمعون هذا اللحن الرومانسي الرقيق، الذي يعزفه شاب سنغافوري بأنامله في الركن الأيسر من ضفة البحيرة، جلس متربعاً وقد التف حوله بعض الفتيان والفتيات من أهل الجزيرة يمسكون بأوراق، ويدندنون وراءه تلك الأنشودة الرقيقة، التي لا أفسر منها كلمة، فالصوت يأتي من بعيد، ربما كانوا جماعة كورال تستعد لعرض موسيقي قريب، يا سبحان الله، الخضرة والماء والموسيقى، هل ستكون الجنة أجمل من ذلك؟

١٥- الأوركيد يا بيه؟

في البوتانيكال جاردن ستجدون ركناً كبيراً لزهور الأوركيد، وهي الزهور الوطنية لسنغافورة كما الورد البلدي في مصر وأكثر، فهي تُتخذ شعاراً للدولة تجدها مرسومة على (التشيرتات) كما أنها مشكلة في حُلي النساء، وتُتخذ منها عطور ذات روائح زكية، تُباع بأثمان باهظة في محلات التذكارات السياحية.

ولهذا.. فركن الأوركيد يلقى عناية خاصة من إدارة الحديقة، فله بوابة خاصة ورسوم بسيطة للدخول، يعكس الحال في حديقة البوتانيكال جاردن ذاتها، حيث لا رسوم للدخول.

بالداخل ستشاهدون مجموعات كبيرة، ومشاتل تفنن السنغافوريون في زراعتها، بما يتناسب مع الطبيعة الاستوائية للجزيرة، بألوانها المتنوعة كالأبيض والبنفسجي والأصفر.. إلخ.

وزهور الأوركيد أو ملائكة الغابة كما يُطلق عليها، تُستخدم في عمل بعض العقاقير الطبية، إلى جانب دخولها كما ذكرنا في صناعة المشغولات الفنية والبرفانات والحُلي..فتجد سلسلة رقيقة مثلاً تتدلى منها في النهاية وردات ذهبية على شكل زهور الأوركيد، مما يدلل على حقيقة أن السنغافوريين مولعون بابتكار منتجات عديدة من الشيء الواحد، ليس في هذا النوع من الزهور وحسب، وإنما في كثير مما حبتهم به الطبيعة وفضل الله عليهم.

١٦- شجرة كريسماس فرعونية

وفي البوتانيكال جاردن تقام العديد من الاحتفالات والحفلات الموسيقية، التي تقدم عروضها في الهواء الطلق، حيث لا شيء غير مسرح بلا قاعة ولا مقاعد للجمهور، بل يجلس المشاهدون على البساط الأخضر الواسع المنتشر حول خشبة المسرح، ويعلن عن هذه الحفلات مسبقاً في نشرات ورقية تكون موجودة عادة في مدخل الحديقة.

لدى مكتب، ليسحب كل زائر ورقة منها وهو في طريقه للدخول إلى الحديقة، فيعرف ما الجديد بها، وهي غالباً عروض مجانية، ولا تظنوا أن الحكومة السنغافورية تتصدق على المواطنين أو ما شابه ذلك، بل إن المواطن السنغافوري يدفع من الضرائب ما يجعله يتمتع بكل ما تقدمه له حكومته من خدمات مجانية، هي في الأصل من حصيلة تلك الضرائب المستقطعة.

سأقص عليكم حكاية شجرة الكريسماس التي دعت إدارة الحديقة جميع السفارات لتزيينها، فقبيل الكريسماس (٢٥ ديسمبر ٢٠٠٤) أخبرتنا إدارة الحديقة

من خلال رسالة رسمية للسفارة المصرية أنها قامت بتخصيص شجرة كريسماس متوسطة الطول (حوالي ١٨٠سم) لكل سفارة كي يحضر مندوبون من السفارة، ويقوموا بتزيين الشجرة كما يتراءى لهم، وستترك الشجرة بزينتها حتى نهاية شهر ديسمبر، وسيكون هذا من فعاليات مهرجان شجرة الكريسماس، كنوع من الترويج للحديقة والدعاية السياحية لها.

ذهبت وصديقتي المصرية إلى هناك، تفحصنا المكان، فإذا بنا في مدخل الحديقة نجد مجموعة من أشجار الكريسماس حولنا، وقد تفنن ممثلوا السفارات من الدول المختلفة في تزيينها بمهارة واقتدار، وقد كنت أتساءل أنا وصديقتي: كيف سنقوم بتزيين هذه الشجرة، هذا الأمر غريب وجديد علينا، وسرعان ما اهتدينا إلى فكرة جمع كل ما لدينا من أوراق بردي، وتذكارات فرعونية وسبح ملونة لنزين بها الشجرة.

جاءت (جنيفر) السنغافورية المسئولة عن تنظيم المهرجان، ورحبت بنا وعهدت إلينا فرع من الزينة الكهربائية ما هو مقرر لكل الأشجار، فأخذتها منها وأخذنا في لف فروع الزينة الكهربائية على الشجرة، ثم أوصلناها بمصدر الكهرباء، فأضيئت وانتشرت هالة من النور على كل فروع الشجرة، بطريقة غير منتظمة نظراً لتشابك فروعها، وباستخدام الأشرطة اللاصقة وبعض دبابيس الرسم تمكّنا من تثبيت ورق البردي بين فروع الشجرة، إلى جانب بعض المشغولات الفنية البدوية كحقائب يد صغيرة مطرزة بالتطريز اليدوي السيناوي، وبعض الكتيبات السياحية عن مصر، وما هي إلا لحظات حتى تجمهر حولنا بعض زوار الحديقة، يتأملون الشجرة الفرعونية ويدورون حولها بإعجاب، ويستأذنوننا في التقاط بعض الصور لنا

مع الشجرة، وعبروا عن إعجابهم الشديد بالحضارة المصرية، وكان لطيفاً أن تقترب منا عجوز صينية تشير إلى كتابات هيروغليفية قديمة على أحد الكتيبات، فابتسمت لها موضحة: إنها كتابات المصريين القدماء.

فبادلتني الابتسام قائلة: نعم نعم، اللغة الهيروغليفية.

ثم حيتني وانصرفت.

١٧- دعوة إلى حفل موسيقي

ستحضرون معي لآن حفلاً موسيقياً بالهواء الطلق بالبوتانيكال جاردن، تفضلوا..

سنتجه الآن من المكان المخصص لانتظار السيارات إلى مدخل الحديقة، وربما يروق لكم ذلك الممر الخشبي المظلل بأعمدة خشبية عتيقة، تشقه بعنف أشجار خضراء كثيفة ويؤدي بنا في النهاية إلى مدخل الحديقة، حيث مكتب الاستعلامات ومركز الزوار.

على يمينكم مكتب الاستعلامات، انظروا إلى تلك الفتاة السنغافورية، التي تحييكم بإيماءة رأس وابتسامة مرحبة.

على يساركم كافيتريا للوجبات السريعة، وقد اتخذت بعض المناضد والمقاعد أمامها في صورة صفوف طويلة. وأمامكم الآن نافورة دائرية كبيرة لشلال صناعي صغير، يلعب حوله الأطفال وكذلك الطيور السوداء الشهيرة بسنغافورة، ذات المناقير الصفراء.

سنعبر ذلك كله معاً، ونتجه عبر الممر الأسفلتي الطويل المخصص للسير على جوانب البساط الأخضر، الهابط والصاعد في تناغم رائع للطبيعة التي أبدعها الله، الفنان الأعظم.

فضلاً أسرعوا الخطى، فيبدو أن الحفل الموسيقي قد بدأ بالفعل.

ها نحن قد وصلنا إلى المكان، سنهبط الآن جزءاً من البساط الأخضر الشاسع إلى حيث يقبع الجمهور أمام المسرح الخشبي الكبير.. تفضلوا بهدوء، وليجلس كل من حضراتكم في أي مكان، فالحشائش الخضراء تتسع للجميع، تنتشر حولنا عائلات سنغافورية وبعض السائحين، الجميع ينصت في إعجاب للمقطوعة الموسيقية الشهيرة لموسيقار شهير لا أعرف اسمه للأسف، تنساب موسيقى الأوركسترا بجمال وروعة، أتشاهدون المايسترو وهو يشير لفرقته الشابة، المكونة من فتيان وفتيات من سنغافورة، وقد اتخذ الجميع زياً موحداً أسود اللون يناسب طبيعة رسمية المقطوعة والآلات الأوركسترالية التي يستخدمونها، تشعرون الآن براحة كبيرة وربما رغبة في النعاس، فجأة، تعلوا الآن الموسيقى، ويشير المايسترو للجميع (بقفلة) المقطوعة الموسيقية، لإنهاء الحفل.

يصفق الجمهور بشدة لهذا الجهد الجميل، ويشيرون لهم بأيديهم ليعاودوا العزف، فيستجيب لهم المايسترو، ويشير لهم بالعزف من جديد لخمس دقائق أخرى، ثم ينهي الحفل.

تنصرف الفرقة الموسيقية بهدوء ودون جلبة، وينصرف الجميع بتكاسل من هذا المكان الرائع، ونحن أيضاً علينا أن نتجه لباب الخروج. ودعونا ونحن في طريقنا إليه نلقي نظرة على هذا المعرض الصغير لزهور الأوركيد المقام في الممر المؤدي إلى

باب الحديقة، دائماً يقيمون معرضاً للترويج لزهور الأوركيد، فربما يعجبكم وتبتاعون بعض الزهور أو بذورها لتزرعونها في بيوتكم.

ما هذا الحشد الكبير أمامنا؟

ياااه، إنه الرئيس السنغافوري يزور الحديقة بصفة غير رسمية، تعالوا معي لنحييه ونصافحه كما يفعل الجميع.

أرأيتم كم هو رجل طيب القلب والخلق؟ هندي الأصل، لم يتوقف عن ممارسة وظيفته الأصلية وهي التدريب بالجامعة، كثيراً ما نراه في الحدائق عندما يكون هناك حفلات موسيقية أو مهرجانات، يسير بلا حراسة تقريباً، هل لاحظتم ملابسه العادية البسيطة؟ هكذا يلتقي كثيراً مع مواطني شعبه.

دعونا نخرج إلى الممر الخشبي العتيق المؤدي إلى خارج الحديقة لنتجه الآن للمكان المخصص لانتظار التاكسي، وإذا لم يكن هناك تاكسي يقلنا فلا تخشوا شيئاً، يمكننا استئجار تاكسي عن طريق الاتصال بالتليفون المثبت بالعمود الخشبي في ركن انتظار التاكسي، فقط نضع عملة معدنية من فئة دولار سنغافوري، ثم نتصل بالرقم المطلوب للحصول على تاكسي، وهو مدون على اللافتة المعدنية المعلقة فوق التليفون. إلى كم تاكسي يا ترى نحتاج؟

على فكرة، تستطيعون العودة كما تشاءون إلى الحديقة، فالمسافة غير بعيدة بين فندقكم والحديقة.

١٨- إيست كوست بارك
(EAST COST PARK)

ذلك هو الشاطئ الشرقي للجزيرة، حيث بحر الصين الجنوبي الذي يشبه إلى حد كبير البحر الأحمر في سفاجا والغردقة بمصر؛ هادئ تماماً، رمادي اللون، تمتد بمحاذاته خضرة رائعة على مساحة كبيرة، حيث تتكاثر الأشجار الاستوائية والنخيل، وهو منتزه للمواطنين يقضون فيه نهايات الأسبوع، فيمارسون رياضتهم كالتزلج بالأحذية أو كركوب الدرجات، أو المشي وسط جو مزيج من المرح والفرح الممتزج برائحة الشواء التي تنبعث في المكان، عندما يستعدون لتناول بعض وجبتي الغداء أو العشاء.

على مقربة، ذهب أولادي ليمارسوا هواية جديدة اكشتفوها هنا، ألا وهي تسلق الأشجار!!

ربما راق لهم ما فعله القردة المنتشرة التي تسكن كثيراً من الأشجار العالية بسنغافورة. ها هم يأتون الآن بعد أن قرروا مشاكستي كبديل لتسلق الأشجار،

فهذا (كريم) يريد ورقة من دفتري، ويليه (آمن) يريد قلمي، لذا سأتوقف الآن عن الكتابة لكم فمعذرة.

تحّولت الورقة إلى ورقات سحبت من دفتري، وتحّولت الورقات إلى طيارات ورقية تنطلق فوق البساط الأخضر هناك، ثم تعلو شيئاً فشيئاً مع نسمات الهواء النادرة لتسقط على الأرض من جديد للأسف... قضينا بقية الوقت على الشاطئ الشرقي نجمع الطيارات الورقية محافظة على نظافة المكان المعهودة، والأمر لله.

١٩- ابتسم أنت في سنتوزا

في تلك الجزيرة الصغيرة التي تكاد تلتصق بجزيرة سنغافورة تقع سنتوسا SENTOSA، وهي أشبه بقرية سياحية واسعة تمتلئ بالشواطئ الرملية والمزارات السياحية، كأسد سنغافورة العظيم الذي يتخذ رمزاً للدولة، وله بناية مرتفعة كبرج القاهرة عندنا، يصعد إليه السياح، ويطلون من شرفة عالية، في الواقع هي فم الأسد المفتوح، وفي المساء تنبعث منه وحوله الأنوار التي تبرز جماله وقوته ومهابة عينيه البراقتين.

في الأصل اتُخذت سنتوسا كقلعة صغيرة لتأمين جزيرة سنغافورة، ومراقبة الأعداء وهم قادمون في أثناء حربهم مع اليابان، وحتى الآن يوجد بسنتوسا مبنى قلعة صغيرة –تُسمى قلعة سيلوزو – وقد تحّولت اليوم لمتحف حربي صغير، يصور كيفية الحياة العسكرية، وملابس الجنود السنغافوريين والإنجليز حلفائهم في تلك الوقت ضد اليابانيين.

في إحدى المرات التي ذهبنا فيها إلى سنتوزا في وقت العصر، لاحظت أن إطار دراجة ابني – آمن – شبه مرتخية، لحسن الحظ، كان هناك محل لتأجير الدراجات، فتوجهت وأسرتي إليه لعله يفلح في نفخ الإطار، أخذت أتأمل صاحب المحل، وقد استرخى على مقعد، ومد رجليه على مقعد آخر، وبدا عليه أنه راح في غفوة حقيقية باسماً هانئاً واضعاً كلا ذراعيه خلف رأسه، مستسلماً للغفوة، ولنسمات باردة قلما توجد في أجواء سنغافورة الاستوائية.

استيقظ على نداء زوجي، وأخذ منه الدراجة ليبدأ في نفخ الإطار بمنفاخه، وبينما زوجي وأولادي يستعدون للانطلاق بالدراجات، في حين أنتظرهم أنا على مقعد قريب حتى يعودوا، فإذا بصاحب المحل يرسل نظرة للسماء منبهاً بأن السماء في طريقها للأمطار، ضحكت في نفسي، كيف يعرف ذلك والجو يبدو جميلاً على غير العادة، ولا أتصور سقوط الأمطار في هذا الوقت، وإذا بالمطر يسقط دفعة واحدة بعد أقل من دقيقتين من حديث ذلك الرجل البسيط، الذي عاود الاسترخاء على مقعده، ورجلاه ممتدتان على الآخر، مغمضاً العينين مستمتعاً بصوت رذاذ المطر الغزير.

لم أجد ملجأ من الأمطار إلا نفس المحل الخشبي القديم، الذي يظلله سقف زجاجي كبير، امتلأ بوريقات الأشجار العالية التي تحيط بكثافة، راقبتها وهي تذبل شيئاً فشيئاً بفعل المطر، ورغم ذبولها، بدا السقف الزجاجي، وكأنه لوحة فنية غاية في الجمال، رسمتها يد الفنان الأعظم الله سبحانه وتعالى.

بعد أن هدأت الأمطار توجهت إلى مقعد خشبي داخل كوخ خشبي بسيط، وهو منتشر في الحدائق الأسيوية، وجلست أتأمل ما حولي. كان هناك بعض الأفراد

يتريضون على دراجاتهم في ممر الدراجات الطويل، راقبت صفحة بحر الصين الجنوبي، وذلك القارب الذي يتهادى ثم لا يلبث أن ينطلق في رحلته، ربما للتنزه ومشاهدة جوانب جزيرة سنتوزا الصغيرة من الخارج، وكعادتي أيضاً، أشعر ببعض أعراض الحساسية الجلدية من وجودي في هذا المكان المحاط بنباتات كثيفة منذ مئات السنين، ومع حبوب اللقاح المتطايرة من الشجيرات حولي، تبدأ بعض فقاقيع حمراء في الظهور على جلد قدمي ويدي، وتبدأ ناموسة شريرة في لدغي، ألملم أشيائي ودفتري، وأهرب سريعاً إلى مكان متسع بعيداً عن النباتات الكثيفة القريبة، فلا أجد إلا موقف السيارات، أقرأ لافتة خشبية تقول: احذر! حشرات خطيرة: TAKE CARE ! DANGEROUS BUGS ، أدقق النظر فإذا بها لا تقول ذلك وإنما تقول: TAKE CARE ! DANGERUS BUSES أي – احذر! أتوبيسات خطر، فأضحك على نفسي، وأتساءل كيف تحّولت كلمة BUSES في عيني إلى BUGS؟

٢٠- بوكتيما ناتشربارك
(BOKIT TIMAH NATURE PARK)

شيء ما يدعوني لغمس وجهي في تلك الخضرة الرائعة!!
بوكيت تيما ناتشر بارك، كانت أول محمية طبيعية أدخلها في سنغافورة، زرتها في الأيام الأولي لمجيئنا هنا، محمية طبيعية بالقرب من بيتنا، مسافة يمكن أن تقطعها سيراً على الأقدام. بعد أن وضعنا السيارة في المكان الكبير المخصص لركن السيارات، واجهنا الممر الرئيسي للمحمية الطبيعية، كانت الأرض أسفلتية رمادية.

في حين تحف الممر غير الضيق من الجانبين أشجار عالية، كانت هذه هي أول مرة أري فيها أشجاراً عالية إلى هذه الدرجة، ووجدتني أتساءل: كم دوراً يا تري هذه الأشجار إذا قارنتها بمبني سكني؟ حوالي خمسة... سبعة؟ يا سبحان الله.

واصلنا السير أنا وزوجي وأولادي في أعماق الممرات الملتوية المتعرجة، ونحن في تأمل صامت لهذه الأشجار الإستوائية العالية. كنت أقرأ عن الغابات الاستوائية، لكني أراها لأول مرة؛ نباتات غريبة وأحجام عجيبة، وأوراق بديعة..

فتلك ورقة خضراء كبيرة جداً تشبه أذن الفيل، وتلك على شكل قلب رقيق، وهذه مفرغة بيد الفنان الخالق العظيم سبحانه وتعالى، وتلك صغيرة دقيقة وأخري ألوانها باهتة وأخري باطنها أخضر وظاهرها قطيفة حمراء، فتبارك الله فيما خلق.

لم أتمالك نفسي من الشعور الجارف بدفس وجهي في أعماق هذه الأوراق ذات القطيفة الحمراء، ففعلت، وتلمست فروعها الجارحة ورائحتها العطرية العذبة، وفجأة، تراجعت سريعاً، بعدما رأيت حشرات غريبة تقترب مني، فهي تتخذ تلك الغابة ملجأ لها.

وصلنا بعدها إلى ساحة واسعة في منتصف المحمية الطبيعية، حيث خصصت لراحة الزائرين والرياضيين، فجلسنا نستريح على أريكة خشبية ومعي زوجي، في حين انطلق "كريم" و"آمن" إلى الله – سلماً من السلاسل الحديدية وكوبري من الخشب للوصول إلى داخل كوخ خشبي صغير، ثم ينحدران بعد ذلك من (الُزحليقة) المعدنية، ويعاودان الكرة من جديد.

تلفتُ حولي أتنعم بمشهد الأشجار الشديدة الارتفاع، والتي تشعرني بقصة عقلة الإصبع عندما غاص في عالم النباتات والطيور، ووجد كل شيء حوله كبيراً.

أخذني منظر جبال بعيدة تشق خضرة المحمية الطبيعية بألوانها البنية المتشربة بالحمرة، وانحدرت بنظري إلى أسفلها حتى سبحت بعيني في بحيرة صغيرة راكدة، ذهبت لأتطلع إليها، وتعجبت من صنع الله الواحد الأحد، وإلى جانب البحيرة لافتة خشبية تحذر من أن جانب البحيرة شديد الانحدار، فهذه المحمية بحق نموذج للغابة الاستوائية الأسيوية، التي لم يتدخل الإنسان في صنعها ولا في تهذيب نباتاتها، اللهم إلا شق بعض الممرات، وتخصيص أماكن للتريض وللعب الأولاد، وبخلاف

الرياضيين الذين ينتشرون في أرجاء المحمية منذ الصباح، وفي المساء يتريضون ويجرون بلا توقف... أفراد ومجموعات وعائلات بأكملها تجري معاً وتتريض، فالرياضة هنا تشكل جزءاً أساسياً في حياة السنغافوريين، كالماء والهواء.

عدت إلى حيث يلعب أولادي، وجلست أتأمل ما حولي عن كثب. لفت انتباهي سيدة سنغافورية تنحني على الأرض لتلتقط بعض النباتات الصغيرة، وتجمعها في كيس بلاستيكي، وتواصل ذلك العمل بجدية، التفتُ إلى ممر آخر أمامي، تفترشه أحجار الزلط المدبب، يحيطه سور حديدي من الجانبين. قال لي زوجي: إن رياضة المشي على الزلط ذي الحافة المدببة، من أقدم الرياضات الصينية، وبقدر ما هي مؤلمة، هي مفيدة، لأن المشي على الزلط يستلزم أن تكون القدم حافية فيكون ذلك بمثابة نوع من التدليك الشديد للقدم، يؤدي لتنشيط الدورة الدموية في الجسم، وفيه فائدة عالية لصحة الإنسان.

قلت لنفسي ولم لا أجرب؟، خلعت حذائي وذهبت إلى ممشي الزلط. بصعوبة شديدة وبالاتكاء باليدين على السور الحديدي على أحد الجوانب، تمكّنت من السير مسافة متر واحد، ثم عدت أدراجي وأنا أتحسس قدمي المتألمتين، أمامي كان رجل صيني بدا فوق الستين من العمر، كان يتابع سيره فوق الزلط المدبب حافياً برشاقة ونشاط، ويكمل ممشى الزلط – وهو ممشى دائري – ومرات..

عدتُ إلى مقعدي الخشبي، حيث زوجي يقرأ الجريدة السنغافورية اليومية، وحيث السيدة السنغافورية لا تزال منهمكة في انتزاع بعض النباتات الدقيقة من الأرض، تجمعها بعناية في الكيس البلاستيكي، كان مشهداً مثيراً للفضول بالتأكيد، قلت لزوجي سأذهب لأري ماذا تفعل هذه السيدة، حاول أن يثنيني عن عزمي؛

لكن الغريزة الصحفية والأدبية دفعتاني إلى الاقتراب منها، وسؤالها بلطف: اسمحي لي أن أسألك عم تفعلين... ؟

أجابت بجدية: إنني أجمع هذا النوع الخاص من النبات لصديقتي المريضة.

– ولماذا ؟

– لأن هذا النبات بالذات يمكن غسله وغليه، وعمل شراب منه، وهو يقي من مرض السرطان ويساعد في الشفاء منه.

ووسط دهشتي سألتها، ألا يباع في الصيدليات؟

قالت: للأسف لا يباع، ولا يوجد إلا في هذا المكان.

سبحان الله، كيف يكون مثل هذا النبات الدقيق المنبثق بين نجيل الأرض – والتي تطؤها الأقدام دون أن تلتفت إليه –كيف يكون مصدراً للشفاء من مرض من أخطر أمراض العصر، سبحانه وتعالى خالق كل شيء.

٢١- حديقة الطيور
(THE BIRD PARK)

ترى هل ارتضت هذه الطيور تلك الأقفاص الذهبية بديلاً مرضياً عن حريتها؟

ستدخلون الآن حديقة الطيور. ها هي البوابة الكبيرة وقد وُضعت أمامها تماثيل رائعة لمجموعة من طيور الفلامنجو الوردية اللون، بعد شراء التذاكر سندخل إلى الردهة الرئيسية، ربما يلفت انتباهكم هذه الغرفة التي في المواجهة، وصورة العروسين على بابها؛ فهذا يا أصدقائي إعلان عن إمكانية عمل احتفالات الزفاف.

هنا في هذه القاعة، وفي أي ركن بالحديقة، بترتيب خاص وفقاً لعدد المدعوِّين، ألا يرغب أحدكم في عمل حفل زفافه هنا وسط الطيور؟ وستُلتقط له المصور أجمل الصور التذكارية.

حفلات الزفاف هنا نهارية عادة، أما الحفلات المسائية فمكانها الفنادق الكبيرة، وعادة لا أحد يؤجر قاعة كاملة للحفل، وإنما منضدة كبيرة أو بضعة مناضد يُدعى إليها المقربون من الأهل.

لنعرج الآن يساراً لترون معي محلات الهدايا والتذكارات لحديقة الطيور السنغافورية، والتي جمعوا بها الطيور من جميع أنحاء العالم ، وُهيِّئَ لكل منها الجو المناسب لها ليماثل بيئتها الأصلية، وأرجو ألا تبالغوا في الشراء من هنا، فالأسعار باهظة.

تقدموا معي قليلاً.. نعم، في الجانب الأيمن ركن التصوير مع الببغاوات الكبيرة الملونة، التي تمتزج ألوانها ما بين أحمر وأصفر وأخضر، تفضلوا لنأخذ صورة معاً، سأدفع أنا ثمن تذكرة الصورة ١٠ دولارات سنغافورية – ٤٠ جنيهاً بالمصري – وسيساعدنا ذلك الحارس في تنسيق صفوفنا، ويضع على ذراع أو كتف أحدكم ببغاءً صغيراً أو كبيراً حسب رغبتكم. لنبتسم جميعاً من فضلكم.. نعم هكذا، (كليك).. انتهينا من الصورة، تعالوا هنا لنتأمل هذه البركة، وننتظر ١٠ دقائق لحين الانتهاء من طبع الصورة، يمكنكم وضع ١٠ سنتات في هذه الماكينة، لتخرج لكم بعض حبوب طعام السمك، سأضع أنا أولاً، ها هي حبوب السمك تسقط من فتحة الماكينة، تعالوا وافعلوا مثلي..إنه شعور جميل أن نُطعم الأسماك الملونة في هذه البركة الصغيرة.

أترون هذه الأسماك الأرجوانية الكبيرة في البركة، وهي تتراقص بمهارة..؟ نقف على هذا الجسر الخشبي الصغير، ونلقي بحبوب طعام السمك، فيتجمع السمك أسفل الجسر ويتزاحم على الطعام، ويلتهمه بأفواه كثيرة فاغرة شرهة.

آه..أشفق على هذه السمكة المسكينة، فهي بعيدة لا تنال شيئاً من الطعام، سأحاول أن ألقي لها بعض الحبوب، خسارة.. لقد تلقفتها السمكة

الأكبر، آه.. حسنا..لقد اقتربت السمكة المسكينة، نجحت أخيراً في التقاط بعض الحبوب.

يأتي المصور، يعطيني صورتنا مع الببغاوات، انظروا، جميلة جداً، نظهر جميعنا في الصورة، يحمل بعضنا ببغاوات متنوعة الألوان والأحجام ومن خلفنا الخضرة القوية تعلن عن قدرة الخالق الأعظم في نعمه، التي أنعم بها على الطبيعة الأسيوية السنغافورية، التي تظهر في خلفية الصورة.

الآن تفضلوا لنكمل الجولة إلى الأمام. هنا على اليمين أقفاص صغيرة لببغاوات بيضاء مدربة على أن تقول بضعة كلمات. هذا (كوكو) يحملق فينا داخل القفص وعلى جانبه لافتة تقول اسمه ومنشأه والكلمات التي يجيدها مثل: (هالو، جود مورننج، هاو آر يو..) وهذا الآخر المسكين يحاول بصبر وأناة إزاحة القفل الحديدي للسياج الخلفي للقفص. ما هذا؟ إن القفل بالفعل مفتوح! يالذكاء الطائر الأبيض، لقد أدرك أن القفل مفتوح، ولذلك حاول رفع السياج الحديدي بمنقاره. تابعوا معي ما يحدث، إنه ينجح أخيراً في رفعه، بل والخروج منه إلى داخل قفص آخر يليه من الخلف، أنبه الحارس لذلك، لا يأبه قائلاً: الباب الكبير للقفص محكم الغلق!!

يا للمسكين!! كم من مرة زرت حديقة الطيور، وكلما رأيتها تردد داخلي سؤال كبير: تُرى هل ارتضت الطيور هنا تلك الأقفاص الكبيرة بديلاً عن حريتها!!

ما رأيكم في جولة بقطار (المونوريل) قطار الحديقة العلوي؟ إنه قطار يجوب الحديقة على قضبان مرتفعة كثيراً عن الأرض، بحيث يُمكّننا من مشاهدة الطيور عن كثب، داخل أشجارها العالية بالحديقة.

ومما يثير الدهشة أن سنغافورة استطاعت تجميع كل هذا الكم، وكل هذه الأنواع العجيبة من الطيور، من جميع أنحاء العالم بعضها أسكته أقفاصاً كبيرة جداً، يمتد ارتفاعها إلى السماء بضعة عشرة متراً، وبعضها تركتها تطير بحرية في أماكن خاصة من الحديقة دون أن تبتعد عنها كثيراً، حيث خصصت لها إدارة الحديقة أعشاشاً خشبية (سوبر لوكس) وثبتت على جذوع الأشجار أشكالاً مختلفة من الفواكه، التي تجذب الطيور برائحتها وألوانها الجذابة.

نحن الآن في القطار – بعد أن صعدنا درجاً للوصول إليه – وهو يسير بنظام إلكتروني فلا يتدخل السائق إلا لإيقافه، أو فتح وغلق الأبواب، وفيما عدا ذلك يسير القطار وحده ليتجول على قضبان مرتفعة في الهواء، ويتيح للراكب بأن يمر على جميع أرجاء الحديقة، والتمتع بمشاهدة طيورها المختلفة.

نحن الآن على ارتفاع عشرين متراً تقريباً عن الأرض. انظروا للأسفل معي، ستتمتعون برؤية مجموعات وردية اللون وسط من طيور الفلامنجو، وسط الخضرة تبدو من بعيد، ها نحن نقترب منها. سبحان الله فيما خلق. ما أجمل طيور لفلامنجو وهي تعبث بمناقيرها في بِركة ضحلة واسعة بحثاً عن الطعام! وهذا نوع آخر من الطيور العجيبة يشبه الديك الرومي، وهذا نوع ثانٍ وذاك ثالث.. إلخ

يتوقف القطار في إحدى محطاته، سننزل هنا، تفضلوا..

نسير قليلاً للأمام، نهبط الدرج، نسير بضعة خطوات لنتوجه إلى أكبر شلال صناعي أبدعه الإنسان؛ فقد استغلت إدارة الحديقة وجود جبل ارتفاعه نحو ٢٠٠ متر تقريباً، لتصنع فوقه شلالاً صناعياً للمياه يشبه الشلال الطبيعي، لتتدفق منه المياه بشدة، وتنسكب على جانب الجبل في قوة وجمال رومانسي، هل تودون التقاط صورة تذكارية في هذا المكان؟

وبعد أن بللنا رذاذ المياه، لنذهب إلى مكان آخر.

هناك في تلك البركة الضحلة، تسبح بعض طيور البط الجميلة ذات المناقير السوداء، بألوانها الرائعة وهي مزيج من البني والأخضر. انظروا كيف تسبح في دلال ورقة!

وإذا ركزتم النظر في مياه البِركة سترون بعض السلاحف المائية الصغيرة والكبيرة، تتسابق مع الأسماك الصغيرة في نفس البِركة، لا تتنافرون ولا يتنازعون، بل يعيشون معاً في ذلك الوطن في هدوء ووداعة.

ها هي البيوت الخشبية للطيور، والتي صنعت خصيصاً لهم، وهي عبارة عن أعشاش صناعية خشبية مثبتة في جذوع الأشجار، على مسافات قريبة نوعاً من الأرض، حتى يتثنى للزوار مشاهدتها بوضوح، كما ثبت لهم بالقرب منها الفواكه والخضروات لتجذبهم دائماً بالقرب من مكان وقوف الزوار.

انظروا، ما أجمل هذا الطائر الجميل الأزرق اللون، انظروا كيف يمتزج اللون الفضي ببراعة مع لونه الأزرق، يا سبحان الله الذي يجعل هذا الطائر يتلألأ تحت ضياء الشمس.

هذه الطيور التي أمامنا والببغاوات هي أسعد سكان حديقة الطيور، لأنهم طلقاء فيها، يتحركون بحريتهم الكاملة دون أقفاص، ربما يحسدهم على هذه الحرية أقرانهم من الأنواع الأخرى في بقية أقفاص الحديقة.

أما الآن فسنذهب إلى القفص الكبير، وهو أكبر قفص في الحديقة، يمتد ارتفاعه حوالي ١٠٠ متر، وقد امتلأ بالأشجار الكثيفة، ولا أدري كيف تمكّنوا من بناء جسور معدنية حديدية بداخله قد ترتفع لدورين، سنزيح الآن الستارة المدلاة على باب هذا القفص، سيمكنكم الآن الدخول ورؤية الطيور وأنتم على نفس مستوى ارتفاعها، بمحاذاة قمم الأشجار، من خلال وقوفكم على هذا الجسر المعدني المعلق.

هنالك كما ترون ثبتت أيضاً في جوانب الأشجار وعلى جوانب السور بعض أطباق الفاكهة الطازجة، كالموز والتفاح والعنب.. إلخ. وهذه وجبة الغذاء للطيور، فضلاً.. لا تتناولوا شيئاً منها، إنها للطيور فقط، يمكنكم أيضاً إطعام الطيور الملونة الرائعة؛ ففي مدخل هذا المكان تقف موظفة الحديقة لتبيع أطباقاً صغيرة لإطعام الطيور، ٥ دولارات سنغافورية فقط لطبق صغير، و ١٠ دولارات للطبق الكبير، تمتلئ الأطباق بسائل سميك خاص فيه طعام محبب لهذه الطيور الصغيرة الحمراء والخضراء، التي تشبه طيور الجنة، فإذا مدَّ أحدكم يده بطبق الطعام، تجمعت فوق الطبق طيور حمراء وخضراء، تتدافع بمناقيرها الصغيرة، وتتسابق لتلعق عصيرها السميك المفضل المصنوع من الفواكه، إنه لمشهد ساحر.

هل استطاع أحد منكم أن يجمع حول طبقه ٨ عصافير خضراء مثلي؟

٢٢- زيارة إلى مول سنغافوري

في أول زيارة لمول سنغافوري – مبنى تجاري – لم ألحظ أية غرابة في البداية، سواء في شكل المول أو المحال. وأول ما أدهشني فيه هو تلك الرائحة النفاذة التي شممتها، ونحن نسير في إحدي ممرات المبني التجاري.

فسألت زوجي: ما هذه الرائحة العجيبة؟

فأجابني: نحن نمر أمام مطعم صيني!!

وصارت دهشتي أكبر، وتساءلت إن كان أحد يستطيع أن يغفر فاهُ لطعام تفوح منه هذه الرائحة!!

ولم أكن أتخيل أني سأجرب بعض هذه الأصناف، وينال بعضها رضائي فيما بعد.

دخلت آنذاك السوبر ماركت داخل المول، شعور آخر بالغربة يجتاحني، في أقصى جنوب شرق أسيا، في سوبر ماركت غريب، أجدني محاطة بأنواع عجيبة من الخضار والفاكهة غير المألوفة بالمرة، وأنواع كثيرة من النباتات الورقية الخضراء، لا

أعرف لها اسماً ولا رائحة، وجدت إحداهما يشبه الملوخية، فاشتريت قدراً منه لأجربه.

كان هناك بعض أنواع الخضار الذي نعرفه، كالخيار والطماطم والباذنجان العروس، حمدت الله تعالى، وتعجبت من مدي تنوع أنواع الخضار، فسبحانه الله الذي أكرم الإنسان بنعم لا تُعد ولا تُحصى. شيء آخر غريب، هو تلك الرائحة الفظيعة التي كادت تفقدني توازني، لم أقو إلا على الخروج بسرعة من السوبر ماركت، تاركة زوجي مذهولاً من سبب خروجي بهذه الطريقة المفاجئة.

اكتشفت بعد ذلك بأسابيع أن تلك الرائحة لنوع من الفاكهة يطلقون عليها (الدوريان) وهي نوع لا مثيل له في الشكل ولا في الطعم ولا الرائحة، وإنما يكفي أن تعرف أننا ندرك جيداً أن أحداً من الجيران قد اشتري دوريانا، لسبب بسيط هو أن الرائحة تفوح في العمارة السكنية كلها، وتظل عالقة بالمصعد الكهربائي لأكثر من يوم، ولأنها رائحة نفاذة غريبة.

كان من العجيب أن يقبل السنغافوريون بشغف على هذا النوع من الفاكهة، إذ إن لها فائدة عظمى في إمداد الجسم بالقوة والمناعة وتجديد الشباب رغم تقدم العمر، فسبحان الله الذي لم يخلق شيئاً عبثاً، وإنما جعل لكل شيء فائدة.

الحقيقة لم أعتد أبداً هذه الرائحة للدوريان، ولكني حمدت الله عندما عرفت أنه موسمي، وأنه لحسن الحظ لا يوجد طوال العام، وإنما في بعض الشهور فقط، وعندما كنت أجده في ركن السوبر ماركت، كنت أعدل مساري، وأتجنب المرور

بجواره، وأعود للمرور من أي ركن آخر، وأنا أضع يدي على أنفي كي أتفادى رائحته قدر الإمكان.

ما هذا الشيء الأخضر الطويل؟ أقترب منه وأدقق النظر، يبدو لي وكأني أعرفه، نعم، إنه كوسة! غير معقول، أخيراً وجدت كوسة، الحمد لله. وما هذا البنفسجي اللون الطويل المعوج؟ باذنجان عروس! فرحت كثيراً بالكوسة والباذنجان العروس، وأخذتهما إلى المنزل وكأنني وجدت كنزاً من بلادنا، طهوت الكوسة، كانت تشبه مثيلتها عندنا لكنها مسكرة قليلاً. أما الباذنجان.. ستضحكون لو عرفتم أنني اشتريت حبتين فقط، نعم..فالواحدة منه طويلة جداً، يبلغ طولها ٤٠ أو ٥٠ سم، فكنت آخذها وأقسمها بالسكين إلى ٤ أو ٥ قطع، وهكذا شيئاً فشيئاً عرفت طريقي إلى مفردات الأكل العربي.

٢٣- اقترب وذوق السوشي اللذيذ

في مطعم السوشي الياباني، وعلى طاولة صغيرة تستند إلى طاولة مستطيلة كبيرة، تدور ببطء على سير، بحيث تلف بجوار جميع المناضد الصغيرة لزبائن المطعم، وهي تحمل أطباقاً دائرية صغيرة وقد رصعت بأنواع السوشي المختلفة ذات الألوان الزاهية.

السوشي أكلة يابانية الأصل، وقد دُعيتُ لتناولها عدة مرات، ولم أستسغها إلا في العام الأخير لنا في سنغافورة، والآن أفتقده بشدة، هو عبارة عن تشكيلة من حشوات الأرز المختلفة، مغلقة بأوراق نباتات بحرية تسمي SEE WEEDS أوأعشاب البحر، وتُسقي بصوص الصويا.

فهناك السوشي بحشوة الأرز الأبيض والسالمون، أو بالكافيار، أو بأنواع أخرى من الأسماك، والمايونيز والخضروات، وقد وضعت لافتة بسعر كل نوع من أطباق السوشي، وفقاً للون الطبق بأسعار بسيطة تبدأ من ١ ونصف دولار سنغافوري. الجميل أني تعلمت صنعه، وجربته في بيتي عدة مرات.

وللسوشي أنواع عديدة منها ما يُسمى (TEKKMAKI)، (FUTOMAKI) ورغم غرابتها فإنها لذيذة الطعم وأنصحك إذا أردت أن تتذوقه أن تختار مطعماً يابانياً، لأنك ستجد الطعم الحقيقي للسوشي وقد تجد مكوناته، (الأوراق البحرية) تُباع في السوبر ماركت التي تبيع سلعاً غذائية مستوردة في بلادنا.

٢٤- ومن الأكلات السنغافورية الشهيرة

(لاكسا) (laksa) وجبة ورق اللاسكا.

وهي عبارة عن شوربة شعرية بيضاء مصنوعة من الأرز، مع لبن جوز الهند، والشطة وكيك السمك ولحم الكابوريا مع ورق اللاسكا، وهو نبات صيني يشبه السبانخ.

وجبة أرز الدجاج CHICKEN RICE SET

وهي عبارة عن دجاجة مخلية مسلوقة في ماء مع الثوم والجنزبيل، ومقطعة شرائح في طبق على شكل المركب، + طبق أرز أبيض مطهو على البخار + طبق خضروات ورقية تشبه السبانخ + طبق صغير من شوربة الدجاج، ويقدم معه أطباق صغيرة جداً فيها صوص شطة حار، وصويا صوص، ويُجَّمل بشرائح البصل المحمر.

معجون الدجاج CHICKEN PORIDGE

وهو طبق يشبه (الكشك) فهو عبارة عن معجون شوربة دجاج مع الأرز، ويجمل الوجه بالبصل المحمر والحلبة المنبتة.

٢٥- "ساتيه" كفتة بالعسل!!

بعد استقرارنا في البلد ببضعة أسابيع، جعل ابني يشكو من عدم وجود أصدقاء، وافتقاده لأصدقائه في مصر. كنت أشعر به ، وكان على أن أبحث له في هذا المكان البعيد عن أصدقاء جدد، خاصة أن الدراسة لم تكن قد فتحت أبوابها بعد. في ذلك الوقت تعارفت على جارة في العمارة المجاورة (صوينج) عرفنا عليها مدرب السباحة (كين) أخوها عندما ألحقت ولديَّ بفريق السباحة، حيث كان يتولي تدريب أولاد المجمع السكني – الكوندمينيوم – كل سبت في المسبح الموجود بالفناء.

بدت صوينج في أواخر الأربعين من العمر، لطيفة، طيبة القلب، تذكرت على الفور الدعاء الذي دعوت به قبيل مجيئنا إلى سنغافورة، بأن يرزقنا الله خيرة أهلها ويحبب صالحهم إلينا. دعوة أسرة سوينج وأسرة أخيها مدرب السباحة على الشاي في منزلنا للتعارف. شعرت أنها تعجبت من شيء من في مهاتفتي لها، عندما حددت لها السابعة مساءً ، أي بعد عودتها من العمل بساعة.

قالت لي: شاي! في السابعة!

قلت لها: هل وراءك ارتباط ما؟

قالت: لا..أبداً، سنحضر في السابعة.

جاء الموعد وحضروا. عبرت لي صوينج وزوجة أخيها دارلين عن إعجابهما بطراز الجلابية ذات التطريز البدوي العربي التي كنت أرتديها. قدمت لهم مشروباً للتحية، عصير برتقال، وبعد قليل شرعت في عمل الشاي العادي مع الكيك. تجاذبنا أطراف الحديث عن مصر وسنغافورة والعادات المصرية وغيره. تحدث زوج صوينج باسماً (بنديكت) – وهو محاسب في شركة إلكترونيات – فقال: عندما دعوتنا بالأمس على شاي في السابعة تساءلت وزوجتي.. شاي؟؟؟ في السابعة؟؟؟

وبدأ يوضح لنا بعد ذلك أن السنغافوريين لا يشربون الشاي الأحمر العادي؛ بل الشاي الأخضر أو أي أعشاب أخرى مفيدة، وهم بصفة عامة ليسوا من محبي الشاي كما في مصر مثلاً، وأن السابعة هو موعد العشاء وليس الشاي، مما جعلهم يتناولون العشاء في السادسة تقريباً.

كانت فرصة لأولادي وأولادهم للعب معاً، فسرعان ما اندمج كريم ابني مع دانيال، أما آمن الصغير فلم يكن يعرف من الإنجليزية إلا بضعة كلمات قلائل فلم يتأقلم معهم.

أصرت صوينج وزوجها على رد الدعوة بشكل أكثر كرماً. ولأن الزوجة السنغافورية نادراً ما تطهو الطعام بنفسها – فقد قررا دعوتنا على العشاء في الأسبوع التالي، بعد نزهة قصيرة للتعريف ببعض الأماكن السنغافورية.

كان الزوج – بنديكت – يعطي زوجي بعض النصائح هنا وهناك، حول أفضل الأماكن للشراء وللتنزه، وهكذا.. إلى أن وصلنا المكان المقصود. ترجلنا من السيارة، فإذا بشارع ضيق طويل أمامنا متفرع من شارع رئيسي، وإذا بالمحال كلها مغلقة، وإذا بالشارع الضيق قد تحّول إلى مطعم كبير بطول الشارع، وقد اصطفت المناضد والمقاعد في وسط الشارع، وظلت دكاكين قليلة لطهي الطعام السنغافوري والماليزي، مفتوحة الأبواب للزبائن.

عندما جلسنا إلى منضدة قالت صوينج:اخترنا لكم مطعماً ماليزياً طعامه حلال، وستتذوقون أكلة (ساتيه) الشهيرة هنا، وأشار الزوج للجرسون وطلب بعض الطعام لنا.

جلسنا نراقب الطاهي داخل دكانه الصغير، وهو يشوي على الفحم كفتة تشبه كفتة الكباب عندنا، برائحتها التي تزكم الأنوف، حتى جاء الجرسون يحمل طبقين فقط من الساتيه، طبق لأسرتنا وطبق لأسرتهم. وما إن بدأنا في تناوله حتى شعرت بالغثيان، تبينت بعدما ذقته أن الكفتة المشوية معجونة بالعسل الأبيض!!! لم يناسب هذا الطعام ذائقة أولادي بالطبع، ورفضوه ببساطة، في حين اضطررت وزوجي لإكمال الطبق والاستمرار في الأكل؛ بل وإظهار إعجابنا به، وشكرناهما عليه، فإذا ببنديكت في نوبة كرم ينادي الجرسون، ويطلب لنا المزيد من (الساتيه) ونحن نتوصل له ألا داعي لذلك، فيضطر زوجي لأكل المزيد، في حين امتنعت أنا متعللة بالشبع التام.

في أثناء تلك الورطة الغذائية لحظنا جمهرة من الناس بالقرب منا تساءلنا: ماذا هناك؟

قالوا: مذيعة تليفزيون سنغافورية ومخرج يسجلان حلقة عن أكله الساتيه الشهيرة. وللأسف لمحتنا المذيعة، وتبينت أننا أجانب، ووجدتها فرصة جيدة لعمل حوار معنا عن أكلة الساتيه الشهيرة. وفوجئنا بها تستأذننا في التصوير، وقبل أن نجيب كانت الأضواء والكاميرات مسلطة على وجهينا أنا وزوجي، سألت المذيعة زوجي: هل أكلت الساتيه؟ ما رأيك فيه؟ وسألتني نفس الأسئلة. وكان علينا أن نستمر في الكذب الأبيض، وأن نؤكد روعة أكلة الساتيه، ولأنني لا أحب الكذب، وجدتني أقول لها: لدينا في بلادنا شيء يشبه الساتيه يسمي كفتة الكباب لكنه – لحسن الحظ – بدون عسل!!

عندما عدنا إلى البيت كانت آثار المجاملة الغذائية بادية على زوجي المسكين، الذي ظل مستيقظاً حتى الصباح يعاني من تقلصات في معدته. العجيب أنني حتى اليوم لا أطيق الساتيه أبداً، في حين بدأ زوجي يتقبله كنوع جديد من الطعام، سبحان الله.

٢٦- في بيت صديقتي السنغافورية.. بوبيا بالعسل الأسود

دخلت بيت جارتنا وصديقتنا صوينج لأول مرة، يرافقني زوجي وكريم وآمن ولداي. كانت شقة صوينج كائنة في المبنى السكني المجاور لنا في الطابق السادس. ضغطنا زر الجرس، فتحت لنا مرحبة، خلعنا الأحذية، كما هي العادة هنا، سلمت علينا وزوجها بنديكت.

لم أجدشيئاً عجيباً في أول منزل سنغافوري أدخله، كان تصميمه يشبه بيوتنا العربية، الطابع الأوروبي عادة يغلب على الأثاث، وهو غالباً ما يكون مصنوعاً من الجلد الطبيعي المقاوم للرطوبة الشديدة والجو الحار والعرق في هذا المكان من العالم.

ولما كانت الدعوة على العشاء؛ فقد دعتنا إلى المائدة مباشرة كعادة السنغافوريين، ولكننا اتجهنا تلقائياً إلى الأنتريه الجلدي لنجلس قليلاً. ولاحظنا الدهشة بادية على صوينج وبنديكت، لأنهما يدعواننا إلى المائدة فنذهب للجلوس على كنبة الأنتريه! فقمنا واتجهنا إلى المائدة الصغيرة المستديرة لنتعرف على الطعام السنغافوري لأول مرة. تقبلنا الطعام السنغافوري الجديد علينا وشكرناها، لا أذكر

بالضبط ماذا أكلنا، فقد دعينا إلى بيتنا عدة مرات، ولكني سأقص عليكم ما حدث في إحدي هذه الدعوات.

يومها دعتنا صوينج إلى المائدة مباشرة، حيث كان الطعام حاضراً ، نظرت إلى المائدة لأجد سلطانية عميقة ملآنة بالخضروات الممتزجة المقطعة لشرائح رفيعة ودقيقة، يفوح منها رائحة البصل والثوم والصويا صوص، ورأيت أطباقاً فارغة موزعة مُلام الكراسي، ثم رأيت طبقاً آخر كبيراً به بعض شرائح السبرنج رول النيئة – تشبه رقائق الجلاش ، تصورت لأول وهلة أنا حضرنا مبكراً ، وأنها لم تحشو رقائق سبرنج رول بعد، وأنها تنتظر مساعدتنا فيها لتقوم بقليها في الزيت بعد ذلك.

ابتسمت صوينج وقالت:اليوم أعدت أمي لكم صنفاً سنغافوريا رائعاً ، لم يتناوله أحد من ضيوفنا إلا وأعجبه بشدة، هو (بوبيا)، فقط عليكم أن تفعلوا مثلي.

ورأيناها تفرش ورقة سبرنج رول في الطبق، ثم تضع فيها ملعقة كبيرة من الخضروات المشوحة ثم صلصة حارة، ثم صلصة حلوة، ثم ملعقة من مكسرات، ثم قامت بلفها لتصبح أسطوانية الشكل وتأكلها هكذا دون أن تُقلى بالزيت.

جلسنا وفعل كل منا مثلها. شجعتنا قائلة: لن تتوقعوا مذاق هذه البوبيا الرائعة!! ولكم أن تتخيلوا عرابة الطعم، المأزق أنها سألتني عن رأيي؟ فقلت لها: رائعة بالفعل. فما كان منها إلا أن زادتني من البوبيا.

شعرت بشيء من الألفة لصوص أسود موجود على المائدة، فتذوقته منفرداً ، فإذا بي أصبح بفرحة بالإنجليزية: عسل أسود!!

فرد زوج صوينج قائلاً: هذا صوص مسكر، حلو. فقلت: نحن في بلادنا نسميه العسل الأسود.

قال: لكنه ليس أسوداً.

قال زوجي باسماً: لا يهم، أهو مستخلص من قصب السكر؟ فقال زوج صوينج: نعم.

قلت: إذن هو عسل أسود.

بتثاقل شديد فرغنا من الطعام، وانتقلنا للجلوس على المقاعد الجلدية بصالة الاستقبال، كانت أمعاؤنا تعترض بشدة على ما أصابها!!

غابت صوينج داخل المطبخ، ثم عادت ومعها سلطانية مملوءة بمكعبات المانجو الصغيرة، وقدمت السلطانية لي فمددت يدي لآخذها، ولكن صوينج لم تترك السلطانية، فتركتُها، وعدتُ بيدي للوراء فإذا بها تبتسم لي وتقول: خذي واحدة! تقصد قطعة مانجو صغيرة.

فأخذت قطعة بالشوكة التي قدمتها لكل منا، وأخذ زوجي قطعة وأخذ ولداي قطعتين، ثم وضعت السلطانية على المنضدة الصغيرة أمامنا، لمن يريد أن يستزيد من قطع المانجو الصغيرة، فإذا بالسلطانية التي تخيلتها نصيبي وحدي هي نصيب جميعَ من في المنزل، وكان أغلب ظني أنها حبة مانجو واحدة كبيرة للجميع.

ثم احتسينا الشاي الأخضر بنكهة الياسمين، وتبادلنا أطراف الحديث، وانصرفنا وهي تلح علينا في أخذ المزيد من البوبيا معنا للمنزل، ونحن نرفض برفق، حتى خرجنا، وعدنا إلى بيتنا فإذا بها ترسل خادمتها وراءنا ومعها علبة بلاستيكية بها البوبيا.

لم نكن سعداء بالبوبيا، ولكننا سعدنا في ذلك اليوم لأننا اكتشفنا وجود العسل الأسود في سنغافورة تحت مسمى الصوص الحلو، إلا أننا اكتشفنا بعد ذلك أنه مستورد من إنجلترا باسم: MU LASSES، وكان اكتشافاً عظيماً. حدث بعدها أن دعوتهم إلى عشاء عندنا، وقدمت لهم مع صنف الحلو سلطانية عسل أسود بالطحينة، وجعلوا يتذوقونه بتعجب – وأنا أتذكر كيف كانوا يضيفونه على الخضار والشطة في البوبيا، فقلت لهم حينها: نحن في مصر نأكل العسل الأسود مع الطحينة والخبز.

٢٧- حريق في فمي!!

زارتني أمي في سنغافورة مرتين. أثار دهشتي أن تدعونا صوينج جارتنا على العشاء ترحيباً بأمي كعادتنا في الشرق. ولما كانت قد دعتنا فيما سبق عدة مرات لعشاءات مختلفة أعجبنا فيها بعض الأصناف ولم يعجبنا البعض الآخر، ولما كانت أمي لا تجيد فن التمثيل فلن يمكنها إخفاء امتعاضها من الطعام الصيني إذا لم يعجبها، فقد اعتذرتُ عن دعوة صوينج بحجة أن أمي مريضة ولها طعام مخصوص.

معذرة أعزائي، سأتوقف الآن عن الكتابة، فأنا أكتب الآن من الشاطئ الشرقي للجزيرة، وبعد أن بللت قطرات المطر كراستي، يفضل أن أذهب الآن قبل أن أغرق بالمطر الغزير، والذي قد يمتد لساعات. سأقوم الآن لألملم حاجاتنا، وأنطلق وأسرتي بسرعة إلى السيارة.

في السيارة الآن، أجد الفرصة مناسبة لإكمال ما بدأت فيه، ولذا سأقص عليكم ما حدث بعد ذلك، ماذا كنت أقول؟

نعم، تذكرت.

بعد أن اعتذرت بلباقة عن دعوة صوينج على العشاء للترحيب بأمي، عرفت جارة ماليزية لي أن أمي في زيارة لنا، فجاءتني لتسلم عليها وترحب بها، وقدمت لها هدية جميلة، جلابية ماليزية. ودار حديث بينهما، أصرت بعدها (سلبيا) على دعوتنا للعشاء في يوم السبت التالي، ولما أعرب لها عن أن أمي لها نظام غذائي خاص بعيداً عن البهارات والملح، أكدت لي (سلبيا) أنها لا تضع مطلقاً أي نوع من البهارات، وأن ملحها قليل جداً في الطعام، فلم أتمكّن من الرفض.

في يوم السبت جهزنا هدية قيّمة، ذهبنا إلى الجارة الماليزية السنغافورية في المبنى الخامس من المجمع السكني. كان علينا أن نخلع الأحذية قبل الدخول حسب العادة هنا، وكما فعلت صوينج السنغافورية – من أصل صيني – فعلت سلبيا السنغافورية – من أصل ماليزي – ودعتنا مباشرة إلى المائدة فور دخولنا من باب الشقة، كانت المائدة مليئة بألوان من الطعام الماليزي الشهي بألوانه الصفراء ورائحته المغرية، ولاحظنا الاختلاف بين المائدة الماليزية والمائدة السنغافورية، من حيث نوع الطعام وكمه وكيفه؛ فالطعام الصيني يميل إلى المسلوق، ووضع الصوص الحار والصوص الحلو منفصلين بجانب الطبق الرئيسي، في حين أن الماليزي يشبه الطعام الشرقي مضافاً إليه الكاري.

دعتنا سلبيا وزوجها جعفر للمائدة فجلست وأمي وزوجي وأولادي، وجلسا هما معنا ، ولكنهما لم يأكلا شيئاً حتى نفرغ نحن أولاً من الطعام، الضيف أولاً ، هذه هي القاعدة.

كان أول ما لفت نظرنا إلى المائدة الجميلة الخبز العربي – أرغفة الشامي الصغيرة – إذن يوجد خبز عربي بسنغافورة!!

امتدت أيدينا الواحد تلو الآخر إلى أرغفة الخبز، وسط دهشة الداعي والداعية من أننا نلتفت إلى الخبز ولا نلتفت إلى بقية أصناف الطعام. تابعنا تجريب الطعام بكميات قليلة أولاً تحسباً من أية مفاجآت، فهذا أرز أصفر بالبازلاء والجزر، وهذه بازلاء بالجزر والكاري واللحم المفروم والبيض العيون يطل منه، لاحظت أن اللون الأصفر – بودرة الكاري – يغلب على كل الأطباق، كان هناك سلطانية كبيرة، تطل منها رؤوس دجاج مسلوق مع بعض الأجنحة.

بدأنا تناول الطعام وإذا بحريق يشتعل داخل أفواهنا، وشعلة من النار تكوي حلوقنا، فتوقفت أمي عن الأكل، واعتذرت على الفور عن إكمال الطعام لأسباب صحية، وكذلك اعتذر زوجي بابتسامة عن إكمال الطعام بسبب مرض الحساسية، الذي يداهمه إذا ما تناول طعاماً حاراً، نظراً لكثرة الشطة، أو الفلفل الأحمر الذي يتلمئ به الطعام، أما ولداي فكانا قد تناولا طعاماً قبل خروجنا من المنزل تحسباً لمفاجآت الطعام، وقالا إنهما لا يشعران بالجوع.

لجأت أمي وزوجي كذلك لطبق السوتيه الذي أحضرته معي لجارتي، ووضعته على المائدة تحسباً لظروف كهذه، أما أنا فجلست في صمت وصبر، أتناول أصنافاً مشبعة بالفلفل الأحمر الحار، حتى دمعت عيناي، وشعرت كم هي الحياة صعبة، وكم تحتاج لتضحيات.

٢٨- يا صديقي أنت مدعو

وصلتني رسالة في صندوق بريدي، فتحتها، كانت بطاقة معايدة تخيلت في البداية أنها من أحد أصدقائنا في سنغافورة أو في مصر، كان الكارت جميلاً يصور حديقة رائعة خضراء مزهرة، ولدهشتي وجدت خلف الكارت دعوة مفتوحة هذا ملخصها:

(هذه دعوة ودية للتمتع بجمال الطبيعة الخضراء، في جو أشبه بالريف الفرنسي على أنغام الموسيقي الهادئة في جو أسري، تمتع أنت وأسرتك بقضاء كل يوم أحد معنا في كازينو..

موعد العشاء من ٧مساءً حتى ١١ مساءً

موعد الغذاء من ١٢ظهراً حتى ٥ مساءً

الأسعار للكبار ٥٠دولاراً سنغافورياً للفرد مصحوباً بالمشروبات الروحية،

٣٠دولاراً سنغافورياً للأطفال دون ١٢ سنة.

في انتظاركم أصدقائي).

وعلى الرغم من ارتفاع قيمة الحد الأدنى للطلبات، فإنك لا تستطيع أن تغضب عندما يرسل شخص ما لا تعرفه بطاقة ودية كهذه رقيقة الأسلوب، حتى ولو كانت الدعوة (على حسابك الخاص).

هذه هي فكرة الدعاية والإعلان في سنغافورة، غالباً ما تعتمد على استخدام أنواع فاخرة من الورق الملون والطباعة الجيدة والصور التي تنطق بجمالها وروعتها. الإعلانات من الممكن أن تكون في أي مكان: على أكشاك التليفونات، على جوانب حافلات النقل العام التي تزيد من جمالها بهذه الصورة الجميلة، التي يتفنن مصمموها فيها سواء كانت خلفيتها مناظر طبيعية أم زهوراً أم شيئاً جميلاً. تُرسل أيضاً إعلانات إلى صناديق بريد المواطنين في منازلهم.

ويجرنا الحديث عن الدعاية والإعلان إلى الحديث عن الإعلام السنغافوري، الذي يتميز بالصدق الشديد مع الناس، ويحظى بثقة الجماهير دائماً، فهو لا يكذبهم وهم لا يكذبونه بل يصدقونه ويؤمنون بكل ما ينشر ويذاع فيه.

وأشير هنا إلى ثقل حجم الجريدة اليومية السنغافورية (ستريت تايمز) المادي والمعنوي، فهي مهمة للمواطنين بالطبع، وأيضاً لديها عدد كبير من الملاحق اليومية، مما يجعل وزن الجريدة ثقيلاً على اليد؛ فهناك الملحق السياسي، والاجتماعي، والاقتصادي، والترفيهي ويشمل السينما ومراكز الترفيه، وهناك الملحق الخاص بالإعلانات المبوبة.

وكان عجيباً حقاً أن تتصدر صور نزاعات وحروب المنطقة العربية الصفحات الأولى، مثل الحرب الفلسطينية الإسرائيلية، وصور الجماعات الملثمة المسلحة التي تفجر نفسها، وتُنشر الصور بحجم كبير مع التفاصيل، وسلبيات وحوادث

المجتمعات العربية مثل حادث القطار المروع في مصر عام ٢٠٠٣ الذي تصدر الصفحة الأولى في الجريدة الأولى هنا بعنوان: (المصريون يغفلون للمرة الثانية) ومن تحتها صور القطار وتفاصيل الخبر، التي تركز على إهمال وتقصير الجانب المصري، وقد كان خبر حادث القطار صحيحاً، إلا أن نشره بالصفحة الأولى وإبرازه بهذه الصورة في الجريدة يعني نوعاً من التجسيم أو التحيز.

٢٩- البحث عن النصف الآخر

بالمصادفة وقعت في يدي مجلة سنغافورية نسائية فأخذ أتصفحها، كان بها أبواب كثيرة كعروض الأزياء، والمكياج والأكلات السريعة وغيرها. ولفت نظري موضوع بعنوان: كيف تستحوزين عليه؟ فبدأت في قراءته، كاتب الموضوع كان يوجه نصائحه إلى الفتاة السنغافورية ويلقنها كيف تستحوذ على صديقها، وكيف تتملك قلبه؟ وهذا بعض ما جاء فيه:

(إن الحب ليس بالشيء الهين، ولا يمكن الحصول عليه بسهولة، كثيرات هن الباحثات عن الحب، لكن قليلات منهن فقط اللائي يصلن إليه، فإليك بعض النصائح التي تسهل لك امتلاك قلب صديقك:

يفضل بعد التعرف في اليومين الأولين أن تتحدثي معه عن موضوعات عامة، وليس هناك داعٍ للموضوعات الخاصة، راعي أن تكوني لطيفة وبشوشة قدر الإمكان في وجهه، واحذري أن تغالي في الاهتمام به في الأيام التالية، بل حاولي أن تقللي من حديثك معه، وتعمدي تجاهله أحياناً ولفترة من الوقت، حتى يتساءل عن سر تغيرك.

حاولي أيضاً ألا تبقي وقتاً طويلاً معه، اظهري دائماً في صورة المشغولة الغامضة. اجري مكالمات هاتفية أمامه ثم اعتذري فجأة لشيء خاص مهم يدعوك للانصراف. كوني مصدراً لإثارة تساؤلاته بغموضك، حتى تؤرقه نفسه وتسأله عنك وتثير شغفه إلى معرفتك أكثر، ولكن كوني حذرة، فلا تجعليه يصل إلى درجة الملل منك، إن تقتربي منه فجأة وتفضي له بأحد أسرارك وأمورك الخاصة، عندها سيقدر ذلك كثيراً، وسيتمسك بك لأنك متزنة، ربما أكثر من الأخريات. في النهاية ستتملكين قلبه، وتكوني قد نجحتي في الاستحواذ عليه).

مثل هذه الموضوعات بالطبع قد تكون غريبة علينا إلى حد ما كمجتمع شرقي، لكنها شائعة ومستساغة في بلد يبلغ فيه عدد الإناث نحو ضعف عدد الذكور أو أكثر. ومع ظاهرة عزوف الشباب الذكور عن الزواج، تتعاظم مشكلة الفتيات، وتسعى كل منهن إلى الفوز بصديقها وإقناعه بالدخول إلى قفص الزوجية، ولو أن (لي كوان يو) مؤسس الدولة السنغافورية، طالب السنغافوريين ذات يوم في إحدى الخطب بكثرة الإنجاب، رغبة منه في زيادة عدد السكان، حتى لو كان إنجاباً بلا زواج!!

ولما كنت أتلقى جلسات علاج طبيعيطويلة ليدي اليُ مني إثر حادث بسيط، كانت إخصائية العلاج الطبيعي تمطرني بالأسئلة أثناء تدليكها ليدي عن بلدي وعن الحال فيها، وعن الزواج ومدى شيوع الظاهرة هنا، وكيفية إتمام الزيجات.. إلخ.

فسألتها بدوري عن الحال في سنغافورة فقالت: إن هناك العديد من غير المتزوجات نظراً لارتفاع تكاليف الزواج بسنغافورة، وصعوبة الحصول على مسكن.. تقول ذلك رغم أن الدولة توفر للشباب الخريجين مساكن جيدة جداً، بنظام تقسيط مريح يقسم على شهور بل على سنوات طويلة.

٣٠- تاكسي من فضلك!

نظراً لكونها جزيرة صغيرة في وسط بحر الصين الجنوبي، فهي لا يمكن أن تستوعب عدداً هائلاً من السيارات، ولذا فرضت ضرائب هائلة على ممتلكي السيارات قد تفوق ثمنها الأصلي لو كانت مستعملة، أو تساويه إن كانت جديدة، مما أدي إلا الإقلال من عدد السيارات على أرض الجزيرة.

على سبيل المثال عرضت سيارة أحد معارفنا للبيع، وكان ثمنها ألف دولار سنغافوري، لأنها موديل قديم وبحالة نصف جيدة، فعرض أحدهم شراءها ثم عدل، بعد أن تبيّن له أن الضرائب المطلوبة منه في حالة شرائها نحو ٣٥ ألف دولار سنغافوري (١$= ٣.٥ جنيه).

وعلى الرغم من تلك الضرائب الباهظة، فإن عدداً كبيراً من المواطنين يمتلكون سيارات خاصة فارهة، نظراً لارتفاع المستوى الاقتصادي لهم.

من الطريف أن بعض السيارات يصرح لها بالسير في نهاية الأسبوع فقط (السبت والأحد) فتكون الضرائب المستحقة على صاحبها أقل بكثير، والسبب في هذا النظام بالطبع هو الرغبة في تقليل وتفادي الزحام على مدار أيام الأسبوع. ومن

وسائل النقل العام هنا؛ عربات الأجرة والأتوبيسات ومترو الأنفاق. سأقص عليكم الآن بعض ملاحظاتي عليها:

طابور يا حضرات:

التاكسي عادة يكون له أماكن محددة للانتظار، حيث يصطف الركاب في مواقف التاكسي المخصصة، حيث يتم استدعاء التاكسي – كما يحدث في كثير من بلاد العالم – عن طريق الضغط على زر إلكتروني خاص فتنار شاشة إلكترونية كبيرة معلقة فوق موقف التاكسي ويكتب عليها: "CALL" فتأتي سيارة التاكسي، ويأخذ كل منهم دوره بنظام، خاصة أن بعض الأماكن لا يمكن التقاط تاكسي منها، فذلك ممنوع وإلا تعرض السائق لدفع غرامة مالية قد تصل إلى ٢٠٠٠ دولار أحياناً.

معظم سيارات التاكسي هنا مزودة بأجهزة إلكترونية صغيرة، متصلة بالأقمار الصناعية وتخبره من خلال شاشة مرئية ومسموعة بأن هناك –مثلاً – حادثاً في الطريق الفلاني، فيتجنب المرور فيه، أو أن هناك زبوناً يريد تاكسي في شارع كذا في حي كذا، ويجب حينها أن يرد بالإيجاب أقرب سائق تاكسي للعنوان المذكور عن طريق الضغط على زر ما بالشاشة، ثم يتجه على الفور إلى الزبون، ويتم ذلك من خلال الضغط على زر معين في الجهاز، فيسجل عن طريق ذلك رقم التاكسي الذي سيتوجه إلى مكان الزبون.

هذا يعني توافر إمكانية طلب التاكسي بالتليفون، سواء من المنزل أم من الأماكن العامة، وفي هذه الحالة سيضاف ٢ أو ٣دولاراً سنغافورياً على قيمة العداد الإلكتروني في التاكسي.

بالتاكسي أيضاً من الداخل بطاقة تعريف شخصية، باسم السائق وشاشتان إلكترونيتان الأولى جوار السائق، والثانية مثبتة في ظهر مقعد السائق والمقعد الذي يجاوره، يظهر عليها إعلانات مسجلة عن أنشطة وسلع وخدمات بنكية وغيرها، ويمكن للراكب غلقها إذا أراد. هناك أيضاً جيب كبير أسفل الشاشة مثبت في ظهر المقعد، ومخصص لوضع كتيبات دعائية عن فيزات البنوك وغيرها يمكن للراكب أن يأخذ منها ما يشاء.

وسائق التاكسي رجل أنيق عادة، يجيد اللغة الإنجليزية في معظم الأحوال وهي اللغة الرسمية في الدولة إلى جانب اللغة الصينية إذا كان صيني الأصل، ولغة الملايو إذا كان ماليزي الأصل، وهم يعملون وفقاً لنظام معين، حيث يستأجر السائق عربة الأجرة من شركة تمتلك عدداً كبيراً من سيارات الأجرة، ويدفع عن اليوم الواحد للشركة ٥٠ دولاراً سنغافورياً، وأحياناً يتشارك اثنان في ذلك، فيأخذ أحدهما السيارة منذ الصباح وحتى الخامسة مساءً، والآخر يأخذها من الخامسة ويسمر بها حتى الليل، وهو نظام جيد يريح السائقين، وفي فترات تغيير الوردية يضع السائق أمامه لافتة توضح اسم الموقف المتجه إليه، فلا يستوقفه أحد إلا إذا كان متجهاً لنفس الاتجاه مما يفسر رفض بعض السائقين الوقوف عندما كنت أشير لهم بسبب وقت تغيير الوردية.

كنت ذات يوم في سيارة أجرة، ولاحظت أن السائق قد سلك بي طريقاً أطول من المعتاد للعودة بي إلى المنزل، وأن عداد التاكسي يشير إلى ١٠ دولارات، في حين اعتدت أنا على دفع ٨ فقط، فقلت له معاتبة، وأنا أمد له يدي بالأجرة: لقد سلكت طريقاً طويلاً. فأجابني بسرعة: أبداً، إنها إشارات المرور والزحام كما

ترين. فأعطيته ١٠ دولارات، ولدهشتي وجدته يعيد إلى دولارين قائلاً: سأقدم لك خصماً ٢ دولار سنغافوري هذه المرة!!

نزلت من التاكسي وأنا أتعجب من ذوق السائق وأمانته، وقصصت هذه القصة على صديقة أقدم مني هنا، فأخبرتني أنه فعل ذلك خوفاً من العقاب أو الغرامة، إذا أنا قمت بشكواه لشركة سيارات الأجرة التابع لها التاكسي، كما هو مدون على السيارة من الخارج.

ركبت مع سائق هندي ذات مرة، وعلم من هيئتي أني عربية وسألني فأكدت له ذلك، وأني مصرية، فابتسم ساخراً وقال: لابد أنك تفتقدين الجمال هنا!!

– فهمت من لهجته الساخرة أنه يقصد النوق – فرددت على سخريته: أية جمال!! إن مصر بلد متحضر، وبه أحدث وسائل النقل، ولا يركب الجمال إلا من يريد التنزه بالمناطق الأثرية القديمة.

أما صديقتي المصرية؛ (فكان حالها حالاً) عندما نسيت حقيبة يدها الكبيرة في تاكسي وهي قادمة في زيارة إلى منزلي، وما كان منها إلا أن اتصلت بشكاوى التاكسي تليفونياً، وأعطتهم مواصفات التاكسي ورقمه، وعنوان منزلي، وما هي إلا لحظات حتى كان سائق التاكسي بنفسه بالباب، يسلم الأمانة لصديقتي، وكنت لا أستطيع أن أخفي دهشتي من أن يتم هذا الأمر بكل هذه السهولة والسرعة.

٣١- أتوبيس السعادة

هو أتوبيس النقل العام، لفت نظري بالمناظر الطبيعية المطبوعة على جوانبه كخلفية جميلة لإعلانات تسويقية، يجلس السائق على اليمين وبجواره ماكينتان، الأولى لوضع العملات المعدنية فقط، والثانية لسحب التذكرة بعد أن يضغط السائق على زر معين لذلك.

هناك أيضاً ماكينة إلكترونية أخري لأولئك الذين لديهم اشتراكات سنوية ونصف سنوية لخط الأتوبيس، وكل ما يفعلونه هو إظهار الكارت وتمريره أمام شاشة صغيرة فتصدر صفيراً صغيراً، ثم يتوجهون إلى مقاعدهم. وفي المدخل أيضاً تجدون حوإلى أربعة مقاعد على اليمين واليسار غالباً ما تكون خاوية للكبار والمسنين، وقد كتبت لافتة كبيرة فوقها تقول: (فضلاً اتجه للداخل، فهذا المكان مخصص لكبار السن)، وفي إحدى المرات كنت مستغرقة في تأمل الشوارع من نافذة عربة النقل الكبيرة، وأنتقل بعيني ما بين شاشة التلفزيون الصغيرة المثبتة في واجهة الأتوبيس من الداخل، وبين اللوحة الإلكترونية الكبيرة فوق ركن السائق، والتي تنبه

الركاب لأسماء المحطات حتى لا تفوتهم، جاءت محطة بيتي فوقفت استعداداً للنزول، ولكني لاحظت أن السائق لم يوقف العربة، فذهبت إليه استفسر عن الأمر وأعاتبه، فقال: لم تضغطي الجرس.

قلت: أي جرس؟ فأشار إلى الأجراس الحمراء المثبتة بجوار كل مقعد وعند الأبواب الثالثة، فأنزلني. وتعلمت بعدها ألا أنسي أبداً ضغط الجرس، وإلا فلن يقف الأتوبيس خاصة إذا لم يكن هناك ركاب يقفون على رصيف المحطة.

هناك أيضاً محطات رئيسية لتغيير خطوط الأتوبيس إلى آخر، وتلك المحطات تشبه المطارات الصغيرة بلوحاتها الإلكترونية التي تبيّن رقم الرصيف ورقم الخطوط التي ستقف عليه، ووقت الوصول ووقت الانصراف، وشبابيك التذاكر تنتشر على جميع الأرصفة، وتصطف الطوابير بنظام محكم، تساعد عليه تلك الحواجز الحديدية التي تحول دون عشوائية الصفوف، أو أن يتخطى أحد الركاب دور غيره.

٣٢- سر الستة مليون!!

تعجبت عندما سمعت رئيس الوزراء السابق ذات يوم، يتساءل عن سر انخفاض عدد السياح من سبعة إلى ستة مليون سنوياً!! ودعا جميع الأجهزة المتصلة بالسياحة لبحث الأمر، والتدقيق في أسباب ذلك التراجع، الذي أدى إلى انخفاض بسيط في الدخل القومي السنوي.

السياحة من أهم مصادر الدخل القومي في سنغافورة:

عندما أذهب إلى مكان ما في سنغافورة أفاجأ بكم الكتيبات السياحية الهائلة المنتشرة في كل مكان، وفي جميع المناطق التي يمكن زيارتها في الدولة، ورغم أن مساحة الجزيرة ٦٥٠ كيلو متر مربع تقريباً، فإن أكثر من نصف مساحة الجزيرة متروك للخضرة، مما يمنح السياح مساحات كبيرة من الحدائق والمنتزهات الخضراء تجذبهم بجمالها، وبما فيها من خدمات ومرافق. ويأتي معظم السياح من أسيا وأستراليا، ونسبة كبيرة منهم من دول أوروبا وأمريكا.

كل شيء سهل يسير أمام السياح، بدءاً من الكتيبات السياحية المتاحة في كل مكان، في الحدائق والمزارات والمطار، والسوبر ماركت، وتتفنن سنغافورة في جذب السياح الذين يأتون للاسترخاء والتمتع على شواطئ بحر الصين الجنوبي، والتريض في غاباتها الاستوائية، لا يمنعهم من ذلك المطر، وذلك أمر يثير عجبي دائماً، وكذلك لمشاهدة مهرجاناتها الكثيرة الشيقة ومزاراتها العديدة مثل؛ حديقة الطيور وحديقة الحيوانات وجزيرة سنتوزا والبوتانيكال جاردن، والأسد السنغافوري وهو برج عال على هيئة أسد قوي يصعد السياح داخل مبناه، ويطلون من شرفته التي هي في الواقع فم الأسد المفتوح.

يأتون للتمتع بالوجبات الصينية الجديدة، لنزهات النهر في القوارب الخشبية التقليدية، يأتون من أجل النظافة، والشوارع الجميلة التي تزينها الأشجار العالية من كل ناحية، والعجيب حقاً أن الأماكن السياحية في سنغافورة قليلة العدد، لكنهم بذكائهم الدعائي يشملون هذه الأماكن دائماً بالتجديد والتنويع، ويبتكرون دائماً كل ما هو جديد، لاجتذاب السياح والمواطنين على حد سواء، من خلال الدعاية المستمرة في وسائل الإعلام، والإعلانات الورقية المتاحة في كل مكان، والتي تصل إلى صندوق بريد المواطن العادي بشكل دوري، إضافة إلى وعيهم الكامل بحسن رعاية السائح، بحيث يعود إلى وطنه وفي ذهنه صورة ذهنية طيبة عن البلد وأهلها ونظافتها، فيذهب السائح ويكون نواة لآلاف السياح فيما بعد.

ففي كل مكان من الأماكن السياحية كحديقة الطيور مثلاً تقام يومياً عروض مسلية للكبار والصغار، فيشاهدون عروض الطيور والحيوانات المدربة على

أيدي خبراء هنود وماليزيين، مع مراعاة التجديد وابتكار فقرات جديدة من حين لآخر، كي لا يمل الجمهور من مشاهدة نفس العروض كل يوم.

مثال آخر؛ هو مركز العلوم الذي يعرض ويجسم التجارب العلمية للطلاب لسنغافوريين، بدءاً من المرحلة الابتدائية، وحتى المرحلة الثانوية، بشكل حديث وعلمي شيق للصغار والكبار باستخدام تكنولوجيا العصر، بحيث يكون تصميمات ومجسمات التجارب العلمية في أفضل شكل يجذب طلبة المدارس الذين يأتون في رحلات أسبوعية مع مدرسيهم للاستماع لشرح هذه التجارب بشكل علمي، ويجذب أيضاً السياح والمواطنين بشكل عجيب حقاً.

أعود للتساؤل: ما الذي يجذب ٦ مليون سائح إلى سنغافورة سنوياً؟

النظافة؟ النظام؟ الحدائق والغابات الخضراء؟ الاستجمام والهدوء؟ الدعاية الدائمة؟ الأمان؟ أم القوة الاقتصادية التي تكون غالباً جذب للمستثمرين الأجانب.

٣٣- مهرجان الأشباح الجائعة

من ١٩ أغسطس وحتى ١٦ سبتمبر

مهرجانات عديدة تقام في سنغافورة، من أغربها ذلك المهرجان، فوفقاً للعقيدة البوذية أن أبواب الجحيم تُفتح لترسل الأرواح الشريرة خلال هذه الفترة، ويؤمن التاويون – TAOISTS وهم أتباع ديانة صينية أخرى– أن الأرواح تتحرك بحرية على الأرض أثناء هذا المهرجان، ولذا ينصح بعدم التأخر لساعة متأخرة بالليل خارج المنازل، حتى لا تفاجئ أحدهم الأشباح الجائعة.

في اليوم الأول من المهرجان يقوم البوذيون بجمع نقود ورقية مزيفة، مخصوصة لهذا الغرض ويحرقونها في محارق – براميل معدنية كبيرة – تنتشر في معظم الشوارع العمومية بجوار المباني السكنية إلى جانب إشعال الشموع والبخور، ووضع كثير من الفاكهة والكيك بجوار هذه الشموع، لمنع هذه الأشباح من إلحاق الدمار بالأرض.

في اليوم الأخير من المهرجان يكررون فعل ذلك، للتعجيل بعودتهم إلى الجحيم، وفي هذه الأثناء تنتشر ما تسمي "بأوبرا الشوارع" حيث تقام سرادقات

صغيرة تغني بها تراتيل بوذية باللغة الصينية مع قرع الأجراس والطبول، وسط ألوان حمراء كثيرة تمثل ديكورات وزينات صينية.

٣٤- مهرجان وسط الخريف

من ٢١-٣٠ سبتمبر

في الخامس عشر من الشهر القمري الثامن وفقاً للتقويم الصيني، عندما يكتمل القمر ويصبح بدراً، تصعد السيدة الأسطورية (تشانج إر) وأرنبها الأليف لتجلس على القمر، وإذا أتيح للشخص النظر إلى القمر في ذلك التوقيت، ربما يحظى بنظرة منها أو بلمحة تضيء حياته وتجعله محظوظاً وسعيداً.

في الصين القديمة، كانت – كعكة القمر "MOON CAKE" توزع في هذا المهرجان وسط احتفال كبير، في وسط موسم الخريف – وهي تشبه البسكويت السميك المحشو بشيء يشبه الملبن – وينقش على سطحها نقوش بارزة صينية. ويحكي الفولكلور الصيني أن الصينيين كانوا يبعثون برسائل سرية يخفونها أحياناً داخل (المون كيك) أو كعكة القمر، في مناهضة حاكمٍ شهيرٍ طاغٍ حكمهم في ذلك الوقت هو (يوان دياستي) الذي حكم خلال القرن الـ١٤.

وفي الوقت الحاضر يحتفل الصينيون والسنغافوريون باعتبار أن معظمهم صينيون في هذا المهرجان، وهو موعد للسرور والبهجة، حيث يقضي الكبار أمسية

المهرجان كسالى وهم يستمتعون بمذاق المون كيك اللذيذ والشاي الأخضر الصيني، تحت أضواء الليلة القمرية، في حين يستمتع الصغار بالتجوال في فناءات المنازل بفوانيسهم المضيئة الملونة.

وتنتشر في المحال فاكهة البرتقال الكبيرة التي تعرف باسم (بوميلوس) وأنواع عديدة من الفطائر الصينية التي صنعت خصيصاً لهذا المهرجان، إلى جانب أنواع مختلفة من المون كيك المحشوة بحشوات مختلفة؛ مثل حبوب لب البطيخ المقشور، معجون الفاصوليا الحمراء بالسكر، وبيض البط و(اليام) وهو مربي البيض.

وتتجلى مظاهر هذه الاحتفالات في الحي الصيني وشارع وسط البلد (أورشارد رود)، وحول نهر سنغافورة، فنرى زينات كهربائية، وعروضاً فنية صينية غنائية موسيقية مجاناً للجمهور.

٣٥- المهرجان الهندي: (نافارا سيري)

في ١٧ من أكتوبر يقام بمعبد هندي (سيري ماريا مان) احتفال بهذا المهرجان، وكلمة ماريا مان تعني التسع ليالي، وهذا المهرجان يقام خصيصاً لثلاثة من آلهة الهندوس وهم (دهورجا، لاكشمي، ساراويس) لمدة تسع ليالٍ في المعبد.

ويقام المهرجان وسط جو من موسيقي هندية قديمة وأغانٍ ورقصات على شرف هذه الآلهة – سبحان الله الذي لا إله غيره – ويقسم المهرجان إلى ثلاثة أجزاء، يحتفل في كل منها بأحد الآلهة الهندية الثلاثة، وفي الليلة العاشرة يختتم المهرجان بحفل درامي.

٣٦- مهرجان الفوانيس

في ٢٧ سبتمبر تُلمح الأضواء المتلألئة في حي (كلارك كوي) وتشاهد مئات من الفوانيس العائمة في نهر سنغافورة، وعادة يكون كل مهرجان مختلفاً ومتجدداً عما قبله.

حيث تمثل الفوانيس مذاهب إبداعية فنية مختلفة، وعلى جانب النهر تقام مسابقة لعمل الفوانيس للأطفال إلى جانب مهرجان (المون كيك) التي تباع هناك، ويكون هناك كثير من الجوائر للفائزين، العجيب أن السنغافوريين يحتفلون في هدوء، وبلا ضوضاء، بنظام وتوقيت محدد يلتزم به الجميع.

٣٧- (مهرجان الديبافالي)

وهم مهرجان الأضواء والاحتفال بتغلب النور على الظلام والخير على الشر وفقاً للعقيدة الهندوسية، ويبدأ الاحتفال بالـ(ديبافالي) قبل أن يحين موعده بعدة أيام في الحي الهندي بسنغافورة، حيث تمتلئ شوارعه بالزينات الكهربائية، وتمتلئ المحال بالشموع والورود الهندية التي تُنظم في شكل أعقاد كبيرة (كما يفعلون في جزر هاواي).

ويذهب النساء إلى المعبد يوم الاحتفال في تشكيلة فنية رائعة من الأزياء الهندية (الساري) وفي البيوت الهندية تُشعل اللمبات الزيتية، وتعلق خارج المنازل، ويتم توزيع وتبادل الهدايا وورود الياسمين، والحلويات الهندية التي يدخل في صناعتها الزبادي والسمن.

يأتي بعض رجال الأعمال ويلقون بشيكات مالية ورقية تحت أقدام (لاكشيمي) إله الثروة عند الهنود، للتبرك به وللتفاؤل، بعمل مشروعات وأعمال مهمة في العام الجديد، وفقاً للتقويم الهندي.

٣٨- فيساك داي - عيد ميلاد بوذا

يوم ٢٦ مايو يحتفل السنغافوريون من أصل صيني بعيد ميلاد بوذا في المعابد البوذية، حيث يماثل هذا اليوم دخول بوذا (إله الصين كما يزعمون) مرحلة (النيرفانا) وهي مرحلة روحانية مقدسة.

كما يعتقد الصينيون، فعندما كان بوذا سائراً بجوار شجرة فتنامي ساقته تأملاته إلى حقيقة الحياة، وجاءته بعض الأفكار التي كانت أساساً لدروسه التي لقنها لتلاميذه، وحملت معها تعاليم الديانة البوذية لدى الصينيين والهنود.

تمتلئ المعابد بالصينيين فيقرأوا نصائح بوذا – أو جوتاما – ويغنون له ويحتفلون ويأكلون ما لذ وطاب لهم.

٣٩- مهرجان فن الرمليات

لم أصدق عيني عندما قرأت إعلاناً يقول: تعالى لزيارة الأهرامات وأبي الهول في جزيرة سنتوزا بسنغافورة!!!!! أيعقل هذا؟
وتابعت إعلانات الدعاية في وسائل الإعلام وفي الطرق، حتى حان وقت افتتاح المهرجان، فأخذنا زوجي إلى هناك، وعلى أحد شواطئ سنتوسا شاهدنا نماذج مصغرة مبهرة من أهراماتنا، وأبي الهول وشاهدنا جزءاً من مقبرة رمسيس الثاني، ونموذجاً لمعبد فرعوني.

وقد أحيط بحواجز من الحبال وعلامات تطلب من الزوار عدم مسها، كانت تلك نماذج رملية صنعها مجموعة من الفنانين من دول العالم خصيصاً لمهرجان سنتوزا بسنغافورة، واستغرق صنعها عدة شهور، وهي لا تماثل الحجم الحقيقي؛ بلغ حجم ارتفاعها عشرات الأمتار، وقد زودت بمادة معينة قادرة على تثبيت الرمل في موضعه لعدة أسابيع وربما لشهور. وللحق أبهرتني سنغافورة بتنظيمها لهذا المهرجان؛ فقد استخدمته بالطبع كوسيلة دعائية لجذب سياح أسيا والمناطق القريبة من

سنغافورة، وكان يزوره يومياً عدد كبير من السياح من داخل سنغافورة وخارجها، وكل من يتمنى زيارة الأهرامات في مصر ولم يتمكّن، وكأنهم يقولون ها قد أحضرنا لكم مصر عندنا، فتعالوا وزوروها...!

أعجنبي للغاية تنظيم المهرجان، لو كنتم معي لرأيتم كم التقدير والإعجاب بالنماذج المصغرة للأهرامات وأبي الهول وتمثال رمسيس الثاني، وبعض الآثار المهمة، كان أولادي يجوبون المكان بفخر شديد، كنا نريد أن نصيح بأعلى صوتنا ونقول هذه بلادنا، نحن مصريون.

كان هناك أيضاً تذكارات فرعونية، صنعت في الصين وبعضها جيء به من مصر ليباع لحساب الحكومة السنغافورية، بل كانت هناك فرقة عربية تعزف موسيقى شرقية، أفرادها أسيويون من سنغافورة وما حولها، حتى الراقصة، جاءت تحيينا فقلنا لها إننا مصريون، فابتسمت وقالت إنها ذهبت إلى مصر ودرست الرقص الشرقي.

كانت أغاني المطربين المصريين كعمرو دياب وإيهاب توفيق، تتردد في المكان، كان ينقص بعض المأكولات المصرية، وتأييد أكبر من الجهات السياحية المصرية، كان يمكن أن تفيد مصر اقتصادياً من هذا المهرجان، وإن كانت قد أفادها المهرجان بالدعاية لها على أية حال. إنها عقول تخطط ببراعة للصالح العام.

٤٠- كل شيء مدروس!!

كنا في عام ٢٠٠١ في أول سنة لنا بسنغافورة عندما لفت نظري في هذا الأمر هو الجراجات، ونظام العمل فيها، – ولم يكن قد انتشر في بلادنا بعد –وفقاً لأحدث الأساليب التكنولوجية متمثلة في سحب تذكرة من ماكينة إلكترونية في الجراجات المتعددة الطوابق التي تخبرك بما إذا كان هناك مكان خالٍ للركن أم لا، ومراعاة تخصيص أماكن لسيارات ذوي الاحتياجات الخاصة والموتوسيكلات التي تمثل نسبة كبيرة من وسائل المواصلات هنا.

وعند الخروج من الجراج يمكنكم إدخال تذكرة الدخول الأولي في ماكنية إلكترونية أخرى، حيث يظهر لكم على شاشتها قيمة المبلغ المطلوب دفعه، فتضعون العملات الورقية والمعدنية كل في المكان المخصص لها، فيرفع عندها العمود المستعرض لمخرج الجراج. والحصيلة التي تحصل من إيراد الجراجات تخصص لتحسين وتجويد أحوال الجراجات والباقي بالطبع يضاف لحصيلة الناتج القومي.

والجراجات هي أبسط الأمثلة على حسن التخطيط في هذه الدولة، فإذا نظرنا إلى نظام إدارة وسائل المواصلات كالتاكسي والأتوبيسات العامة وأتوبيسات السياحة، والبنوك والشركات والشوارع والأمطار – كما ذكرنا من قبل – سنعرف كيف أن التخطيط يلعب دوراً مهماً في تقدم هذه الشعوب.

٤١- تسونامي

عندما حدث زلزال تسونامي في بعض دول أسيا (كماليزيا وتايلاند وإندونيسيا)، شنت الحكومة السنغافورية حملة تبرعات كبيرة استمرت لسنوات لجمع تبرعات لضحايا تسونامي وأيتام كمبوديا، ومن قبلهم ضحايا زلزال إيران وخلافه..

حتى جمع التبرعات يتم بطريقة مدروسة غاية في البساطة، فتنتشر صناديق تبرعات زجاجية في جميع واجهات المحلات والسوبر ماركت، وبخاصة عند ماكينات دفع النقود، وفي الحدائق وفي البنوك والشركات، وفي معظم المتاجر الكبيرة، ويوضع بجوارها صور ضحايا المنطقة المنكوبة ليسارع الجميع للتبرع. وقد نجحت هذه الحملات في جمع مبالغ كبيرة جداً، وتعهدت الحكومة السنغافورية بالتبرع بعشرة آلاف دولار أو أكثر، ويشترك في ذلك السكان بجميع طوائفهم الدينية والعرقية. المساجد والكنائس أيضاً تقوم بدور كبير في ذلك، إلى جانب قبول التبرعات العينية من ملابس وبطاطين وخلافه.

ولا ننسى الهلال الأحمر السنغافوري، الذي يقوم بتوصيل ما يصله من تبرعات إلى فرع الهلال الأحمر الدولي بسويسرا، ومنه يصل إلى المنكوبين في البلاد، وفقاً للجهة التي يختارها الشخص المتبرع.

٤٢- البلاء قبل وقوعه

من باب تقدير البلاء قبل وقوعه، تحرص الدولة على تأمين المواطنين، وتدريبهم على اتقاء شر الحوادث وحسن التصرف وقت حدوث الكوارث.

وسأقص عليكم على سبيل المثال ما حدث لصديقتي التونسية هنا، فعندما كانت في إحدى معاهد تدريب اللغات: تجلس في غرفة الدرس والمحاضر منهمك في الشرح، إذا بجرس إنذار عالٍ مستمر يدوي، وإذا بالمحاضر يطلب منهم ترك كل شيء، والإسراع معه إلى باب طوارئ المبنى ليخرجوا منه –علماً بأن المبنى في الدور السابع عشر – فأطاعه جميع الدارسين واتجهوا معه بسرعة إلى باب الطوارئ للخروج، ولم يكن أمامهم إلا النزول من سلم الطوارئ وبأقصى سرعة وجرت صديقتي، وكانت تقفز الدرج مع الآخرين وهي في حالة شديدة من الرعب، وهي تتساءل أهو حريق أم ماس كهربائي أم زلزال؟

كانت في حالة يُرثى لها، وهي تدعو الله أن تعود لأولادها الصغار سالمة، وإن بدأت تشك في ذلك، وفجأة توقف جرس الإنذار، وتوقف المحاضر عن نزول

السلم، وطلب من الجميع الاتجاه للمصعد الكهربائي للصعود مرة أخرى، مفسراً للجميع أن ما حدث كان مجرد تدريب على كيفية التصرف في وقت الحوادث التي قد تطرأ على المبنى.

٤٣- النجدة

لفت نظري ذات مرة وأنا أطالع جريدة الحي الذي نقطن فيه، صورة كبيرة لأشخاص ممددين على الأرض، وقد التف حولهم رجال الإسعاف والإطفاء، فتساءلت: كيف حدث حادث كبير في الحي الذي نسكن فيه دون أن نشعر به؟ وجرت عيناي على سطور الخبر أستطلع الأمر.

فوجدت أنه مجرد تدريب على كيفية التصرف في الحوادث، إذا ما حدث حريق في مبنى سكني لا قدر الله، وكيف يمكن أن يساعد المواطنين بعضهم بعضاً حتى يأتي رجال الإسعاف أو المطافئ، ولذا يدربونهم على بعض الإسعاف الأولية البسيطة.

٤٤- لأنها صغيرة

ولأنها صغيرة فهي دائماً قلقة على المستقبل، كذلك هي سنغافورة، أهلها يحسبون حساب الأعداء وما يمكن أن يحدث في المستقبل، ولذا يوجهون اهتماماً كبيراً لتوعية النشء الصغير في المدارس من خلال مادة تُعرف باسم (الدفاع عن النفس) تشرح كيف يمكن التصرف في وقت الحروب والأزمات، التي يمكن أن تتعرض لها الدولة، مثل توقع حدوث أزمة مياه وتوجيه عناية الشباب من خلال الصور الكاريكاتورية.

بما يمكن أن يكون عليه حال الوطن في المستقبل، إذا ما أهمل اليوم المواطنون العناية بالمياه مثلاً، أو إساءة استخدامها أو الإسراف فيها. وقد يعبرون عن هذا المعني في صور كاريكاتورية، يظهر في بعضها شباب جنود في وقت الحرب، وهم يكادون يموتون عطشاً لأن المياه نفدت.

٤٥- روح واحدة

يربون النشء هنا على روح الفريق، وكيف يحيا المجتمع بروح واحدة، فتظهر في مادة (الدفاع عن النفس) صور كاريكاتورية عن أشخاص في المجتمع، يرفضون التعاون مع ذوي الاحتياجات الخاصة، وعلى هذه الصورة تظهر علامة خطأ كبيرة، ثم في صورة أخري أسفلها علامة (صح) وتوضح أن الشخص ذا الاحتياج الخاص يمكنه أن يقوم بأعمال مهمة أيضاً، ولكنها لا تستلزم جهداً عضلياً؛ كأن يفكر ويخطط للجماعة، في حين يقوم أفراد الجماعة بتنفيذ خطته، للإعلاء من شأن المؤسسة أو الجماعة أو الدولة.

من الجميل أن تكون هناك لقطات فوتوغرافية لبعض وجوه الشعب السنغافوري، تستخدم في أغراض الدعاية السياحية؛ لتطبع وتنشر على الكروت وفي الكتيبات السياحية والكتب، وفي واجهات المتاجر الكبيرة، فتظهر صورة كبيرة – بوستر – لشعب واحد متعدد الأعراق فيظهر العنصر الماليزي والصيني والهندي،

صورة جميلة لشعب متحاب يعيش في سلام، وإن بدا تحت السطح غير ذلك أحياناً، فربما يكون هناك حساسيات صغيرة بين هذه الأعراق.

٤٦- اللون الأخضر.. نعمة أم نقمة!!

إذا شاهدتها من طائرة فستجدها عبارة عن كتلة من اللون الأخضر تنبثق من بحر الصين الجنوبي المتصل بالمحيط الهادي، فاللون الأخضر يتغلغل في كل مكان، حتى أنه ينبعث من بين بلاطات الأرصفة الأسمنتية، ومن جذوع الأشجار وأحياناً من الصخور، فترى تكوينات خضراء صغيرة وتتعجب من قدرة الخالق الفنان.

لماذا أتحدث عن اللون الأخضر؟ وكيف لا.. وهو اللون الغالب على لون الطبيعة، فسنغافورة قد حباها الله تعالى بمزايا طبيعية ونعم كثيرة، كالأخضر الذي لا تمل منه العيون وترتاح إليه الأنفس.

سنغافورة كما هو معروف جزيرة استوائية، تبعد عن خط الاستواء بنحو ١٣٧ درجة شمالاً، وبالتالي فهي تعتبر غاية استوائية كبيرة، بل وبداخلها عدد من الغابات الطبيعية الاستوائية تركها السكان على حالها، مما يجعلها أكثر جمالاً وإمتاعاً، بل ويجعلها مصدراً مهماً من مصادر الجذب السياحي.

وإذا تحدثنا عن اللون الأخضر فلابدُ أن يأتي ذكر المطر، فالمطر هو النعمة الأولى التي حبا الله تعالى بها سنغافورة، فهو العامل الطبيعي الأول وراء سر الأخضر.

المطر ينال حظاً كبيراً من الاهتمام به، والتخطيط المسبق له من قبل المسئولين، من حيث تصريفه لعدم إعاقة المرور بالشوارع، وادخار كمية كبيرة منه لمياه الشرب.

وبالرغم من هذه الخضرة؛ فإن سنغافورة لا تعرف زراعة إلا زراعة النباتات الاستوائية (نباتات الزينة).

أما ورق الشجر فهو حقاً مشكلة كبيرة!!

مئات الآلاف من أوراق الشجر في الجزيرة بأكملها، وفي الشوارع والمجمعات السكنية والحدائق والمنتزهات تسقط يومياً بفعل الأمطار والرياح الساخنة. وتؤرق هذه المشكلة الحكومة كثيراً فتطلق يومياً مئات من عمال النظافة وراء الأشجار وفي الشوارع والحدائق وفي كل مكان، فيقومون بعمليات مختلفة لتنظيف الأرض من أوراق الأشجار، التي لا تكف عن السقوط أبداً.

وسأحكي لكم ماذا يفعل عمال النظافة في المجمع السكني الذي نقطنه، أولاً: أخذ أحد العمال ماكينة مخصوصة تُخرج هواءً شديداً ذات صوت مزعج، ويلف بها على أركان الحديقة، ليطرد بفعل مضخة الهواء الشديدة الأوراق المتساقطة من الأشجار، ثم يجمعها بعد ذلك في مكان واحد ويأتي آخر ليجمعها بيديه، ثم يعاود توزيعها بطريقة معينة لتصبح سماداً لنباتات أخرى.

أتساءل عن عدد العمال الذين يعملون في تنظيف الحدائق والشوارع من أوراق الأشجار، الذي ما إن تهب رياح ممطرة حتى تتساقط آلالاف الوريقات لتغطي أرض الشوارع من جديد، وكأننا في خريف دائم، العجيب حقاً هو أن هذه الأشجار تظل كثيفة، وكأنها على حالها رغم سقوط آلاف الأوراق منها يومياً.

٤٧- يا له من أخضر!!

بعد أكثر من أسبوعين من التوقف عن الكتابة بسبب ضيق الوقت، أجدني أخلق وقتاً بعد مراجعة دروس ابني، وأنتزع نفسي من أشغال المنزل، لألوذ بالفرار إلى أكثر الأماكن قرباً إلى نفسي (البوتانيكال جاردن). الساعة تقترب من الواحدة ظهراً، لا يُهم، قد يكون موعداً غير مناسبٍ للخروج من حيث حرارة الجو، لا يُهم، وماذا أفعل في ذلك الجو الممطر؟

انتهزت فرصة سكوت الأمطار، أخذت مظلتي وخرجت.

في الحديقة تستقبلني نسائم ما بعد المطر، حيث السماء صافية ودرجة الحرارة رائعة، والشمس غائبة، لا زوار في الحديقة إلا ما ندر. تستقبلني بعض أفراد الحمام المقيم في الحديقة متناثراً في أرجاء الحديقة بعد أن خلت من الزوار، ألمح من بعيد مقعدي المفضل، الأريكة الخشبية المواجهة للبحيرة، وتحت قطرات المطر الخفيف، وإلى جواري جيراني من الحمام، أكتب هذه الكلمات وحبات المطر تعبث

بحبر قلمي على الورق، ولربما تلاحظون ذلك، إذا ما قرأتم خطوط هذا المقال، فلابُد أن أنتقل لمكان آخر مظلل لأكمل حديثي في هذا الكتاب معكم.

أجد كوخاً خشبياً لأحتمي به من قطرات المطر الخفيفة، لأجد بعض عمال الحديقة يتسلقون على أرائكه، وقد راحوا في غفوة قصيرة في ساعة الراحة، أتسلل خارج الكوخ لأبحث عن مكان آخر.

يحادثني زوجي على الهاتف الجوال، يسألني: أين أنتِ؟ ثم يطمئن إن كنت قد جهزت طعام الغذاء قبل خروجي اليوم. أضحك... أقول له: إن هذه أمور ثانوية، لا تهتم بها، ألست على نظام غذائي لإنقاص الوزن؟ يضحك هو أيضاً، وهو يقول: معك حق، سلام.

أجد أخيراً مكاناً آخر في ركن جميل تحيطه الأشجار العالية المزهرة، تمتزج زهورها البيضاء الوردية بالأوراق الخضراء، فتتلألأ أمام ناظري لوحة طبيعية من صنع الفنان، تبارك الله فيما خلق.

أتابع حديثي عن الخضرة الرهيبة، والتي تتميز بها قارة أسيا ككل، نعمة من الله تعإلى منحها لهذه البلاد، وما كان دورهم سوى إبرازها والحفاظ عليها.

الحمد لله، لقد عادت الخضرة إلى طبيعتها تقريباً، بعد موسم الجفاف المفاجئ الذي ساد البلاد بضعة أشهر سابقة، في يناير وفبراير ومارس ٢٠٠٥، وعلى غير العادة عندما توقفت الأمطار شبه اليومية عن الهطول، وكسا اللون الأصفر لأول مرة بعض المساحات الخضراء في الحدائق، بل وانحسرت مياه البحيرات الصغيرة بها، ووصل الأمر (نظراً لارتفاع حرارة الجو لـ٣٧ درجة مئوية مع

الرطوبة التي تبلغ نسبتها ٨٠%) إلى حدوث حرائق في الغابات في بعض أطراف الجزيرة.

كانت رائحة هذه الحرائق تصل إلينا فتزكم الأنوف، ووجدتني أتساءل إن كنت قد حسدت سنغافورة على جمالها وأخضرها؟

اليوم ونحن في شهر مايو، كل شيء على ما يرام بفضله تعالى، بعد عودة الأمطار الموسمية شبه اليومية، ليهنأ أهل تلك الجزيرة الاستوائية الخضراء الممطرة.

الخضرة أيضاً لا تخلو من الخضوع للتخطيط، فقد جعلت الحكومة نسبتها أكثر من ٥٠% من مساحة الجزيرة التي تبلغ ٦٩٧ كيلو متر مربع مضافاً إليها بعض الجزر الخضراء الصغيرة كجزيرة سنتوزا وجزيرة أوبين.

هذه المساحات الخضراء الرائعة تعد مصدراً مهماً لجذب السياح، بما توفره لهم من فرص الاسترخاء والاستجمام والراحة والاستمتاع بهدوء الطبيعة، رغم المناخ الاستوائي الحار، حيث تتراوح درجة الحرارة ما بين ٣٥-٣٧ درجة يومياً طوال العام.

(.....) ما هذا الصوت؟

ألتفت بجواري، فأجدني أمام طائر صغير يشبه صديق الفلاح - أبو الفصاد - جسمه من الخارج كله أسود اللون وبطنه ورقبته باللون الأبيض، وله منقار أصفر رقيق، كان يتجول بجواري ويصدر صوتاً أقرب إلى صوت النقر على الخشب، وكأنه يلقي على التحية، أو يتساءل عن سر وجودي في مملكته الخضراء.

لم أذكر لكم أن الأمطار هنا يسبقها عادة رعد وبرق، وبما أنني أسمع الآن صوت الرعد فمن الأسلم أن أتوقف الآن عن الكتابة، وأعود لأعد الطعام بمنزلي لأسرتي قبل فوات الوقت.. عن إذنكم.

٤٨- من الديانات في سنغافورة

الهندوسية:

تتعدد الديانات في سنغافورة، فهاك الهندوسية واليهودية والبوذية والتاوية والمسيحية والبهائية والإسلام، وتعتبر الهندوسية أقدم الديانات الأسيوية، وقد ظهرت بفضل (الريشيس) وهم حكماء الهند القدامى، وعلى غير الديانات الأخرى، فإن الهندوسية لا تأتي على يد نبي ولا رسول.

وإنما هي تميز يكمن في الخبرات الواعية العميقة والإدراك الروحاني، لعدد من القديسين والحكماء والعرافين الهنود القدامى، والذين أيضاً عدلوا من طقوس العبادة، لتناسب الاحتياجات المتغيرة للناس عبر السنين.

الهندوسية هي طريقة للحياة أكثر من كونها ديناً، وترتكز على (فيداس) وهو أقدم الكتب المقدسة في العالم، وهي ديانة حرية ولا تجبر أحداً على الدخول فيها، كما أن الهندوسيين يصدقون بوجود إله واحد؛ لكنها تسمح بحرية عبادة أشكال مختلفة للإله – كما يزعمون – بأن لديهم ثالوث مكون من (براهما) الخالق،

(فيشنو) الحامي الخادم، (شيفا) وهو المستوعب الذي يغلب شر الشيطان. هذه هي الصور الثلاث الشهيرة في العقيدة الهندوسية.

وهم ليسوا ثلاثة آلهة مستقلة، وإنما ثلاثة أشكال مختلفة لإله واحد عظيم – حاشا لله أن يكون معه شركاء – ويزعمون أن هذا طبيعي للإله الواحد، أن يكون له ثلاث صور كما أن الأب مثلاً يقوم بأدوار ثلاثة: رب الأسرة في البيت، المدير في العمل، المستهلك في السوبر ماركت.

وتكون العبادة الهندوسية روحانية يتفكر فيها العابد في المعبد، وتقام الاحتفالات والمهرجانات الهندوسية في المعابد في مواعيد محددة وفقاً للتقاليد الهندية.

هناك أكثر من بليون هندوسي في العالم، منهم ١٨٠ ألف في سنغافورة وحدها، يقيمون عبادتهم في نحو ٢٤ معبداً، وهناك بعض الكهنة الهنود يقومون بتطبيق العبادات وفقاً لكتاب الهندوسية المقدس – فيداس –وعادة يُسمح للسائحين بزيارة المعابد بشرط خلع الأحذية، وعدم التدخين وعدم الاستخفاف بالديانات الأخرى.

قالت لي صديقة هندية تُدعى (سميتا) أن (براهما) و(فيشنو) و(شيفا)، هم الآلهة الرئيسية في دياناتهم رغم وجود آلهة كثيرة غيرهم، فهناك مثلاً (جانيشا) الإله الفيل ابن الإله (شيفا)، وحكت لي أن الناس قديماً في الهند كانوا بسطاء لا يمكنهم استيعاب فكرة إله واحد فقام البعض برسم هذه الشخصيات التي هي غالباً شخصيات خيالية – فلم يوجد إثبات لأنهم عاشوا – ونسجوا حولها القصص

لتقريب الصورة للناس بوسطاء يدعونهم، في تلك العبادة التي يقولون إنها رمزية وليس معقدة.

زورو أسترينئزم ZOROASTRENIZM

هذه الديانة من أقدم الديانات في العالم ظهرت في مدينة (بريسا) وقد وجدت بواسطة شخص يدعي (زارثسترا) منذ حوإلى ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد، وقد ولد في أذربيجان بالقرب من منطقة بحر آرال، وهذا الشخص هو مؤسس هذه الديانة ويسمونه رسولاً.

تزعم هذه الديانة أن هناك إلهاً واحداً هو (آهورا مازدا) رب الحكمة، ولهم كتاب يقدسونه ويعرف بـ(زندأفستا) يشتمل على الصلوات الأولى والأدعية التي كتبها (زاراثسترا) وهذه الصلوات تعرف باسم (جاثاس) ظلت هذه الديانة هي الديانة العامة لسنغافورة حتى عام ٧٠٠ بعد الميلاد، وتعليمات مؤسسة الديانة ظلت هي الضوء الذي تسترشد به الحضارة هناك، بعد أن مات ذلك الشخص عند ٧٧ عاماً أثناء الغزو التوراني لـ(بريسا).

العبادات تتمثل في تركيز الاهتمام على أفكار الإله وكلماته والأفعال الطيبة، كما أن (هوماتا – هوخاتا – هوفاريشتا) هي الصور التي يزعمون أن الإله يتمثل فيها ويقدسونها.

وهم يحتفلون بالعام الجديد في عيد الربيع ٢١ من مارس، ولا يصدقون بالبعث بعد الموت، ولا في الصيام، يدربون أطفالهم على الدين قبل البلوغ في المعابد ويحتفلون بالطفل الجديد في احتفال يطلق عليه: نافجوت.

يصدقون أن العالم خلقه إله واحد وأن الناس سواسية عنده، لكنهم لا يصدقون البعث ولا بالصيام.

البوذية:

أوجدها السيد (سيدهاتاها جوتاما) الذي أصبح يطلق عليه فيما بعد (بوذا)

ولد بوذا في عام ٦٢٣ قبل الميلاد في مدينة لومبيني جنوب نيبال، وبدأ التأمل في حقيقة الحياة ومعاناة الجنس البشري في سن ٢٩، ويقال أن أبويه كاناغ ملكين في الهند، وأن أمه لم تكن تحمل أبداً، وجاءها رؤية ذات ليلة أنها تلد فيلاً كبيراً، ففسر العرافون لها بأنها ستلد طفلاً يكون له شأن كبير. وتحققت النبوءة وولد (جوتاما) الذي عُرف فيما بعد ببوذا عندما ترك مملكته وميراثه واعتزل الناس والدنيا، وعاش حياة الزهد والتأمل، وعكف على البحث في طريقة لإنهاء هذه المعاناة، وفي ليلة قمرية اكتمل فيها البدر نجح (جوتاما) في الوصول إلى مستوى مرتفع من التنوير الذهني، الذي جعله يفهم حقيقة الحياة، وهذا الاستنتاج المتميز قاده لأن يصبح (بوذا) أي – الشخص اليقظ – وبدأ في وضع تعاليم بوذا التي تعرف باسم: (ترييتاكا) بلغة (بالي) وتتكون هذه التعاليم من شروط وأحكام الرهبان الذكور والراهبات الإناث، الذين يتبعون أحكام بوذا، و(أبهيدهما) وهي الجانب الروحاني والأخلاقي لتعاليم بوذا.

ومن بين ما تهدف إليه تعاليم البوذية، إيجاد مناخ ديني سلمي وصحي بين مختلف الجماعات والأجناس، وتذكر المبادئ الإنسانية والقيم النبيلة التي ترتقي إيجابياً بشخصية الإنسان، والتي هي ضرورة حتمية لإقامة عدالة عالمية، وتوفير سلام

العالم وانسجامه وتهذيب السلوك الإنساني ومن أقواله (إن الكراهية لا تنتزعها الكراهية في هذا العالم ولكن ينتزعها الحب، وهذا قانون يجب أن يحتذى به كل فرد لأنه قانون ذاتي، أو قانون للذات).

وأذكر ذات مرة أنني ركبت سيارة أجرة ووجدت بها كتيبات عن البوذية في جيب المقعد الخلفي للسيارة فأخذت في تصفح إحداهما، وبدا أن السائق قد وضعها دعاية لديانته البوذية، كان الكتيب مبسطاً بالصور، كان هناك صورة لفتاة جميلة العينين، وتحتها تعليق: إن هذه الفتاة عيناها جميلة في الحياة الأخرى، لأنها كانت توقد الشموع دائماً لبوذا في الحياة الأولى – أي أنها تشعل شموعاً وتضعها أمام تمثال بوذا، كلما رأت إحداها– وهي عادة يفعلها كثير من السنغافوريين هنا.

صورة أخرى لجزار يذبح الطيور والبقر، وتحتها كتب هذا التعليق:

(إن هذا الإنسان سيكون في الحياة الأخرى بلا ذراعين، لأنه كان يرتكب كثيراً من الجرائم اللا إنسانية في الحياة الأولى) يقصد ذبح الطيور والبقر، فهذا محرم في العقيدة البوذية ولذا تجد كثيراً منهم (فيجيتيريان) بمعني أنهم نباتيون لا يأكلون اللحوم، وإنما أحياناً يسمحون لأنفسهم بأكل الدجاج.

صورة أخيرة لسيدة وحيدة ذابلة، والتعليق: (إن هذه السيدة وحيدة وأرملة في الحياة الأخرى، لأنها كانت تسيء معاملة زوجها في الحياة الأولى).

والديانة البوذية هي الديانة الغالبة التي يعتنقها حوإلى ٨٠% من السنغافوريين، الذين يتسمون بدرجات عالية من الثقافة والتعليم والرقي الحضاري والمعرفة، بأحدث ما وصلت إليه تكنولوجيا العلم.

السيخ:

وُجدت هذه الديانة (في عام ١٤٦٩ جورو ناناك) ويقال إنها مزيج من عدة ديانات الهندوسية والإسلام.. إلخ.

هم يؤمنون بوجود إله واحد اسمه الحق وهو الخالق، وراء الزمن، روحه تملأ الكون، لم يولد ولا يموت، موجود دائماً، يعبدونه بواسطة (جورو) فقط، فهم يتخذونه وسيطاً يدعونه ليقربهم إلى الله.

ويقول (جورو): ذلك الذي يكسب حياته بعمله، ويخصص جزءاً من حياته للخير، فإنه يكون بحق تابعاً لـ(ناناك) – أي له – وبذلك قد عرف طريقه إلى الله.

تدعو هذه الديانة إلى حرية اختيار الدين، والمساواة الاجتماعية، وتهتم بالمساواة مع المرأة والعدالة الاجتماعية واحترام بقية الأديان.

وبالرغم من تنوع الأديان في سنغافورة؛ إلا أن ذلك الشعب الذكي يعرف جيداً أن القوة الاقتصادية هي معيار تقدم الشعوب، ولذلك ينهمك الجميع في العمل والاجتهاد من أجل مستقبل بلادهم، بغض النظر عن اختلاف أعراقهم، وما قد ينشأ عن ذلك من حساسيات دفينة يحاولون كتمانها، والاندماج في كيان اقتصادي قوي يحمل أحلاماً كثيرة لهم وللأجيال الجديدة القادمة.

٤٩- لا تخدش فناء المدرسة!!

هذه هي العبارة التي أثارت دهشتي عندما منعوا ابني في المدرسة الابتدئية من استخدام حقيبة بعجل صغير يجرها على أرض فناء المدرسة، فهم قد أنفقوا مبالغ كبيرة على أرضية فناء المدرسة، ليكون من نوعية مطاطية خاصة، لنظافة المدرسة ولسهولة جلوس الطلاب عليه، في حالة إذا ما طالت خطبة مدير المدرسة في إحدى الاحتفالات، فيأمر الجميع بالجلوس على أرض الفناء.

عندما اخترت مدرسة لابني قيل لنا: إن المدارس السنغافورية الحكومية ذات مستوى جيد جداً ، من حيث التعليم والانضباط الأخلاقي، باختلاف الحال في بعض المدارس الأجنبية الأخرى، ورغم صغر مساحة الدولة، فهناك ١٣٢ مدرسة ابتدائية، ١١٣ مدرسة ثانوية، في مقابل ٣٢ مدرسة أجنبية فقط تدرس مناهج دول أخرى.

والمناهج هنا تشبه المنهج البريطاني في التعليم، حيث الكتب المختصرة المشوقة، والبرنامج التعليمي بالفعل رائع، حافل بالأنشطة الرياضية والفنية والتكنولوجية، فهناك مثلاً جماعة الربوت التي كان ابني كريم مشتركاً بها، وهي مكونة من مجموعة من الطلبة المتفوقين في لعبة الليجو ومهمتهم عمل ربوت من الليجو، باتباع تعليمات محددة على اسطوانة كمبيوتر، وفي النهاية يقومون بتركيب جهاز إلكتروني صغير يجعله يتحرك، وكل ذلك تحت إشراف مُعلمة سنغافورية تدرس لهم هذه الخطوات، بمعدل حصتين أسبوعياً بعد انتهاء الدراسة.

ومن الطريف أن ماة التاريخ والجغرافيا مثلاً لا تدخل في امتحانات آخر العام، في الأربع سنوات التي درس فيهم ابني هناك، ولا أعلم إن كانت تدخل بعد ذلك أم لا. المهم أنني وجدتها فكرة طيبة جداً أن يقرأ الطلاب التاريخ والجغرافيا على أنها مادة تثقيفية، ولا يقدمون على حفظها من أجل امتحان آخر العام.

اللغة الرسمية في التعليم هي الإنجليزية، مع تدريس الصينية للصينيين، والملايو للماليزيين والهندية للهنود، أما أولادي فقد كان لديهم إعفاء من دراسة هذه اللغات إلا الإنجليزية.

هذا معناه ألا يجد ابني ما يفعله في حصص اللغة الصينية، فكنت أعطية ما يقرأه لتنمية لغته الأم – العربية – وكان أحياناً يعرض عليه مدرس الرياضيات أن يجلس ليحل بعض التمارين كنوع من التدريب الإضافي له، وكان هذا مثار إعجابنا بالمدرس السنغافوري (مستر تشاو) الذي تطوع لذلك من نفسه، وكان يكسب دائماً حب جميع الطلاب.

وفي المقابل تجد اللكنة الإنجليزية للمدرسين ليست صافية، وإنما يشوبها اللهجة السنغافورية مما دعا البعض إلى تسميتها بلغة (السنجلش) أي اللغة التي تمزج الإنجليزية بالصينية، وكان هناك كثير من الكتب والدورات التدريبية في سنغافورة تحت عنوان تخلص من (السنجلش) وتعلم الإنجليزية الصحيحة.

ومن الطريف أن جاءني ابني كريم ذات يوم، وهو يصيح: (وجدت برصاً على الحائط) والأبراص هنا طبيعية جداً، ولا أمل من مقاومتها سوى غلق النوافذ قبيل مغيب الشمس، حاولت قتله برش مبيد حشري عليه فسقط على الفور، وإذا بابني يتوسل إلى بطلب لم أر أعجب منه: (من فضلك يا ماما ضعيه في علبة بلاستيك لآخذه إلى المدرسة غداً كما أوصانا مدرس العلوم!!!). ورغم دهشتي الشديدة مما قال؛ استعنت بورق كرتون لأحمله وأضعه في علبة بلاستيك كما طلب. ولا عجب بعد ذلك أن يأتيني بأنواع متعددة من الحشرات من حديقة المجمع السكني، لتبيت في البيت حتى اليوم التالي ليقدمها لمدرس العلوم.

من ناحية أخرى نجد أن بعض المدرسين يتعاملون مع الطلاب بلهجة جافة للغاية، وكأنهم في الجيش، وهذه هي اللهجة الغالبة في المدارس السنغافورية، والعكس هو الاستثناء، فهم يفتقدون روح التشجيع التي يمكن أن تصنع المعجزات، العجيب أن الطلاب يتفوقون بالفعل ليس بدافع التشجيع من المدرسين؛ ولكن ربما بدافع التشجيع والترهيب من أولياء الأمور، الذين يوجهون أبناءهم للمذاكرة باستمرار وكذلك بسبب الدروس الخصوصية التي يزدحم بها جدولهم، فلا يبقى للترفيه إلا وقت قليل، إيماناً منهم بأهمية العلم والتعليم في بناء مستقبل أولادهم.

٥٠- متفرقات سنغافورية

الرياضة:

تمثل جانباً مهماً في حياة المواطن السنغافوري، رغم الإحصائية التي تقول إن ٥٠% من الشعب السنغافوري لا يمارس الرياضة. والرياضة هنا مدعومة من الدولة، وهناك مراكز ونوادي رياضية تابعة لوحدات في الجيش أو الشرطة، ومع ذلك يسمح لجميع المواطنين باستخدامها بمقابل مادي بسيط لا يذكر.

حتى ذوو الاحتياجات الخاصة يمارسون الرياضة، ويتفوقون، وتنتشر إعلانات دعائية في الشوارع، ويظهر فيها أحد المعوقين وهو يجلس على كرسي متحرك في الصورة التي كتب تحتها عبارة: (أنا لست معوقاً. تعال وشاهدني داخل الماء وستعرف).

كبار السن:

كبار السن يتمتعون باهتمام كبير، ولفت نظري أن نسبة كبيرة منهم يعملون في المطاعم الأمريكية في أعمال بسيطة، كجمع الأواني الفارغة والصواني ومسح الموائد، ويحظون برعاية كبيرة من المواطنين والحكومة. فهل تتصورون أن من يسكن

بجوار والديه يحصل على تخفيض كبير في قيمة الوحدة السكنية، تصل ربما لعشرة أو عشرين ألف دولار سنغافوري، إلى جانب التأمينات والتخفيضات المتاحة لهم في كل مكان.

الحيوانات الأليفة:

الحيوانات الأليفة منتشرة هنا بكثرة خاصة الكلاب، بمختلف أنواعها وأشكالها وأحجامها وألوانها وجنسياتها، وطعام الكلاب متوافر في كل مكان؛ بل وملابسهم أيضاً وإكسسوارات عديدة متاحة في المحلات لتزيين الكلاب وتميزهم عن بعضهم، بل وهناك أيضاً قفازات لأصابع الكلاب كيلا تتسخ أو تسبب اتساخاً بالمنازل، بل إن المربيات في المنازل يكون من أساسيات عملهن العناية بالكلب وتنظيفه وتقديم الطعام له، وليس هذا فحسب، بل ترفيهه والخروج به للتنزه، واصطحابه معهم أثناء التريض. فتري الرجل يجري وإلى جواره كلبه يجري سعيداً وهو يلهث. بل إن الحدائق تمتلئ صباحاً بكثير من السنغافوريين وكلابهم، خرجوا للتريض وللترفيه عن كلابهم. وهناك كافيتريات مفتوحة بالحدائق تسمح باصطحاب الكلاب فيها؛ بل إنني رأيت إحدى الخادمات على شاطئ بحر الصين الجنوبي تضع كلباً على (مرتبة سباحة) وتنزل معه إلى الماء وهي تداعبه بوضع قطرات ماء على رأسه وتهنهنُه ُ كالرضيع.

متطوعة في حديقة الحيوان:

يبدو أنني لن أنتهي من هذا الكتاب أبداً، فكلما حاولت إنهاءه تذكرت طرفة ما، فأسارع إلى قصها عليكم.

أذكر الآن يوم تطوعت للإشراف على الأولاد في مدرسة ابني الصغير آمن، مع بعض المدرسات وأولياء الأمور في رحلة إلى حديقة الحيوان، كما هي عادة المدرسة،قضينا وقتاً طيباً مع الأولاد هناك نشرح لهم ما يدور ونقرأ لهم اللافتات، وما عليها من معلومات عن الحيوانات ومواطنها الأصلية. استمتعت مع ابني ورفاقه خاصة بعد عرض الفيلة، وحدث أن اعترض طريقي فجأة ونحن في طريقنا إلى باب الخروج قرد صغير، فصرخت ذعراً عندما رأيته أمامي يدس يده أسفل ماكينة المياه الغازية كم يفعل كثير من الناس، ويخرجون علبة مياه غازية، لدهشته خرج بيده خاوي، فقفز إلى الشجرة مرة أخرى، محبطاً دون أن يلتفت إلي أدنى التفاتة، في حين أخذت جارتي اليابانية – أم زميل ابني – تضحك، وهي تشير بكفيها إلى في عجب من انزعاجي وهي تقول: أنت في حديقة الحيوان!!!

الإخلاص:

حقاً إنه طبع السنغافوريين، وما أجمل أن يتسم شعب بهذه السمة، فلا تتعجب من عامل نظافة بسيط يتقن عمله ويدخل حديقته وهو ينوي ألا يترك ورقة شجر عالقة ببالوعة أرض، كي لا تسدها، أو ورقة ملقاة هنا أو هناك، وقد ينفق بضعة دقائق أمام تلك البالوعة لتنظيفها، هذا على سبيل المثال.

مؤتمر دولي لدورات المياه:

قد يكون طريفاً أن تعلموا أنه في عام ٢٠٠٢تقريباً اختيرت سنغافورة مكاناً لعقد مؤتمر دولي في تجهيزات دورات المياه، وكان هذا اعترافاً ضمنياً بأنها أكثر بلاد العالم نظافة وتميزاً في تجهيزات دورات المياه، من حيث التصميم والديكور والأجهزة المستخدمة بها؛ كمحابس المياه التي تفتح لثوان ثم تغلق أتوماتيكيا، لتوفير المياه التي

يعانون نقصاً فيها. ورغم أن لكل قاعدة استثناء؛ فإنني وجدت بصفة عامة أن هذا صحيح، فمثلاً دورات مياه في حديقة الحيوان وهي من الأماكن السياحية الأولى هناك، صممت بديكور يشعر الداخل بأنه في وسط الغابة، فالأحجار المستخدمة في الحوائط والأحواض مأخوذة من أرض الغابات الاستوائية، بل إن خلفية الأحواض هي عبارة عن أشجار استوائية ونباتات خضراء متشابكة، تسيجها بعض الأعمدة الخشبية الرقيقة التي تتيح للشخص الاستمتاع بجمال الطبيعة حتى في هذا المكان.

هذا يفسر اللافتة المثبتة بباب دورة المياه من الخارج، والتي تحمل علامة خمس نجوم!!!!!

أما في حديقة الطيور، فخلفية الأحواض عبارة عن سلك عالٍ تتخلله النباتات الخضراء الرائعة، وتتيح للشخص التمتع بمشهد الطيور الحمراء والخضراء تطير في وسط جنة خضراء، وكأنهم يحرصون على ألا يفوت السائح لحظة دونها بجمال الطبيعة التي حباهم الله تعالى بها.

ورق جرائد:

تقوم جهات معينة أحياناً بتجميع ورق الجرائد والمجلات من سكان المنازل، وبشكل دوري للاستفادة منها في صناعات ورقية عديدة، وكذلك الملابس القديمة يتم وضعها في أكياس بلاستيكية أمام المنازل، فتقوم شركة معينة بتولي جمعها بشكل دوري، في أيام محددة يعلن عنها في ورقة إعلان تعلق على حائط مداخل البيوت.

٥١- لن أقول وداعا

اقترب موعد عودتنا النهائية لمصر، انتهت السنوات الأربع، وصدر قرار الوزير بعودة زوجي لديوان وزارة الخارجية، وبدأ العد التنازلي، أتأمل حياتنا في سنغافورة، وكم تركنا من أثر طيب عن عروبتنا لدى من عرفناهم هناك. أتذكر ما قصه على ابني من أن مدير مدرسة بوكتيما بريمري سكول، نادى اسم ابني كريم أحمد مصطفى وسط طابور الصباح، ودعا الجميع للتصفيق له تقديراً وتشجيعاً له لتصميمه موقع خاص على الإنترنت لفصله الخامس الابتدائي.

وضع فيه أخبار المدرسة والفصل، وبعض المعلومات الترفيهية والألعاب وغيرها، ووضع في المقدمة صورة جماعية لزملاء الفصل، وتوج بذلك نهاية نشاطه في المدرسة. أتذكر كم الصعوبات التي عانى منها ابني الكبير كريم وكم من مضايقات وجدها من أولاد الجيران وزملائه في المدرسة، لاختلافه عنهم، ولكونه عربياً وليس أسيوياً مثلهم، وكيف نجح في اكتساب صداقة كثيرين منهم، أو على الأقل صاروا

ينظرون إليه بتقدير لحسن خلقه ولخبراته بالكمبيوتر وكرة القدم وكرة السلة، وصاروا يستعينون به في بعض ما يواجههم من مصاعب في ألعاب الكمبيوتر والإنترنت. أذكر أن جارة لنا حكت لي ذات مرة أن ابنها كان في غاية الضيق عندما ذهب كريم في إجازة إلى مصر، وكان يخشى ابنها ألا يعود كريم لسنغافورة مرة أخرى، هذا الصبي السنغافوري (سوتيه) لا يزال على اتصال بابني رغم أنه يقيم حالياً في أستراليا ونحن الآن في مصر. ليرون البراعم العربية المصرية كيف تكون!

أتذكر حفل تخرج ابني الأصغر في الحضانة في المدرسة الكندية، حيث كان ينادى في الميكروفون اسم الدولة، ثم يدخل من باب قاعة الاحتفال طابور من طلاب هذه الدولة بالمدرسة يتقدمهم طالب يرفع علمها، مترديا الزي الوطني لها، عندما جاء الدور على اسم مصر، دخل ابني آمن من باب القاعة، خفق قلبي عندما رأيته فاتحاً ذراعيه، حاملاً العلم المصري بيديه الصغيرتين يفرده على صدره ويتقدم في العرض الموسيقي بخطوات عسكرية ثابتة، ومن ورائه فتاتان وطفل صغير، هم فقط ممثلوا مصر من طلاب المدرسة، انضموا للمدرسة فقط منذ شهرين قبل موعد العرض، أرسلتهم العناية الإلهية كي لا يكون ابني الطالب المصري الوحيد في العرض الموسيقي للطلاب، حيث كانت معظم الدول يمثلها في المدرسة ما لا يقل عن ١٠ طلاب تقريباً..

كنت قد بدأت في شراء بعض التذكارات السنغافورية للأهل والأصدقاء، ثم بدأت في تعبئة أغراضنا وحاجاتنا تدريجياً. وبدأ الأصدقاء والمعارف في عمل دعوات عشاء لتوديعنا، بشكل كاد يعوقني عن جمع بقية أغراضنا من البيت.

كان هناك بعض الأماكن العزيزة التي أود توديعها، وقمت بزيارتها مثل حديقة الحيوان، وحديقة الطيور، أما مكاني المفضل في حديقة البوتانيكال جاردن، حيث (الإيكو ليك) فكان موعده في اليوم الأخير لي في سنغافورة، قادني زوجي إلى هناك في الصباح الباكر، تأملت البحيرة العذبة، رؤوس السلاحف الصغيرة تطل من صفحة المياه، الحمام واليمام المتجول محلقاً فوق البحيرة ومنها إلى الأشجار القصيرة المحيطة بها، باحثاً عن يد حنون تطعمه فتات البسكويت أو الخبز الجاف.

تأملت الكوخ الخشبي البعيد، مقعدي المحبب بمواجهة البحيرة، كنت أسمع خلجات نفسي يشوبها بعض الاضطراب، قلت لزوجي: دعنا ننصرف، كي يلحق بموعد عمله، ولم أستطع منع دموع ساخنة تسللت سريعاً على وجنتي، أتدمع عيناي لفراق مكان خارج وطني؟ ربما أتأثر لفراق مكان ما أمضيت فيه أوقاتاً طيبة؛ لكن لم يصل الأمر إلى الدموع، ربما لأنني لا أضمن العودة مرة أخرى إليه في تلك البقعة النائية من العالم، تلك الجزيرة الصغيرة التي أسرتني بجمالها وهدوئها في جنوب شرق أسيا في بحر الصين الجنوبي.

عدت إلى المنزل وتابعت تعبئة ما تبقى من أغراض في صناديق. تتابعت المكالمات التليفونية من أصدقاء ومعارف اتسعت رقعتهم باتساع الأربع سنوات، سواءكانوا عرباً أم سنغافوريين. كويكن جارتي بالدور العلوي، جاءت تودعني، تقدم لي كارتاً جميلاً، كتذكار سنغافوري رقيق، عبارة عن عروستين صغيرتين من القطن والقماش، كديكور للحائط، قبلتني واحتضنتني على غير عادة السنغافوريين، وودعتني بأعين دامعة وخرجت سريعاً، فتحت الكارت وقرأت عباراتها:

صديقتي العزيزة سلوى:

أشكرك كثيراً على الوقت الطيب الذي قضيناه معاً، والأخلاق الكريمة التي عاملتني بها، وأتمنى لك ولأسرتك كل التوفيق والنجاح، فأنت صديقة جيدة دافئة، أتمنى أن أراكِ مرة أخرى.

أما جارتي الماليزية السنغافورية فجاءتني بعدها تحمل لي بعض الهدايا – بعضاً مما تتاجر به – إيشاربات وفوط للمائدة بنقوش سنغافورية صينية، وعرضت توصيلي للمطار، شكرتها وقلت لها إنه لا داعى لذلك، استودعتني بأعين دامعة وانصرفت.

أما أتريا صديق ابني – الهندي – فجاء ومعه والدته (بوجا) لتوديعنا، كان أتريا ولداً طيب الأخلاق، يعيش مع أمه وحيدين بعد انفصالها عن والده، كان يأتي لقضاء بعض ليالي نهاية الأسبوع معنا، ولما اعتذر له ابني مرة بأن ضيفاً لدينا – أمي – وأن لا مكان له للمبيت، قال له (أتريا) بأنه ليس هناك مشكلة، وأنه من الممكن أن يأتي بمرتبته الإسفنجية الصغيرة لينام عليها عندنا. ووافقتُ على اقتراحه وأنا أضحك في داخلي من بساطة تفكير الصبيان، ظل أتريا وأمه وقتاً طويلاً ثم انصرفا. لم تكن لحظات الوداع سهلة خاصة مع أصدقائنا العرب من تونس والجزائر ومصر والسعودية، والذين أقاموا الدعوات والموائد لتوديعنا.

ودَّعت حتى حراس المجمع السكني الذي نقيم فيه، وتقدمت إحدى الحارسات الماليزيات مني وقدمت لي هدية، كانت كيساً من الحلوى، ورغم أنها كانت هدية بسيطة فإنها كانت كبيرة في معناها عندي، ودَّعت مديرة (الكوندومينيم) المجمع السكني، ذهبت للسلام ولتصوير بعض الأوراق، رفضت تقاضي أجر تصوير الأوراق، وتمنت لي حظاً سعيداً.

لم يبق إلا (صوينج) كانت تعرف بموعد سفري؛ ولكنها ودعتني تليفونياً، لأنها عادت متأخرة من عملها في ذلك اليوم، واعتذرت أنها لم تتمكّن من المجيء خاصة بعد أن انتقلت للإقامة في مكان آخر بعيد، قلت لها: صوينج، لا أتخيل أن أغادر سنغافورة دون أن أودعك! فكان ردها: ١٠ دقائق وسأكون عندك.

وبالفعل جاءتني بابتسامتها الهادئة وبعينيها اللتين تشبهان عيني قطة، تبادلنا الأحاديث وسألتني عن وجهتنا التالية، وأنها سوف تأتي وأسرتها لزيارتنا إلى مصر في الصيف التالي. قدمت لي هدية صغيرة كانت بحوزتها، وهي تعتذر أنها لم تجد وقتاً لشراء هدية أخرى، ودعتني هي الآخرى بأعين دامعة، وانصرفت متمنية لي حظاً سعيداً في البلد القادمة.

لا أنام حتى الغد، يحين موعد الطائرة، يودعنا زوجي على أن يلحق بنا بعد مدة بسيطة ينهي فيها أوراقه ومعاملاته الرسمية هنا.

نستقل طائرة الخطوط السنغافورية، وبعد ١٢ ساعة ونصف تقريباً نصل إلى مطار القاهرة، لأستقبل البحر الأحمر، والنيل وسماء القاهرة، حتى نهبط على أرض مصر، ونخرج من الطائرة يودعنا وجه سنغافوري باسم وهو يقول: نراكم مرة أخرى.

أما زوجي فقد قصَّ علي بعد ذلك، كيف ودعه صديقه السنغافوري (كين) والدموع في عينيه، ووقف صديقه (ليم) يودعه بعد ماتش التنس الأخير لهم، وهو يلوح له بيده حتى غاب عن عينيه، وأرسل له قريباً إيميلاً رداً على رسالة زوجي له، وقال إنه لا زال يحتفظ بآخر رسالة موبايل أرسلها له زوجي، وقال له: ربما يأتي يوم ما في مكان ما نلعب فيه التنس معاً.

لن أقول وداعاً سنغافورة.. لأنني آمل أن أراها مرة أخرى، بعد أن علقت بالقلب وتوغلت، وعلق جزء من قلبي هناك في (البوتانيكال جاردن).

الكاتبة فى سطور :

- سلوى محمد مصطفى الحمامصى.
- بكالوريوس الإعلام شعبة إذاعة و تلفزيون – جامعة القاهرة ١٩٨٩ .
- من مواليد القاهرة ١٩٦٨ .
- عضو اتحاد كتاب مصر .
- عضو نادى القصة .
- عضو جمعية الكاتبات المصريات .
- عضو اتحاد كتاب و أدباء الإمارات .
- عضو رابطة زوجات الدبلوماسيين .

الأعمال المنشورة :

١- قيود الأحلام ، قصص الهيئة المصرية العامة للكتاب، عام ١٩٩٣.

٢- كتاب مشترك بالإنجليزية عن مصر

CLUTURE OF THE WORLD, EGYPT, VALLEY OF LIFE, TIMES NEW PUBLISHING-SINGAPORE 2003.

٣- صحراء الأربعين ، قصص، مكتبة الأسرة ،٢٠٠٦

الفهرس

إهداء: ٤

تقديم: ٥

١- فى الرحلة إلى سنغافورة: ٧

٢- جنة بلا ناس: ١١

٣- نى .. هاو.. ما؟: ١٥

٤- ماجولا سنجابورا: ١٩

٥- دعوى على الشاى الأخضر: ٢٣

٦- حفل زفاف سنغافورى: ٢٧

٧- رمضان فى سنغافورة: ٣٣

٨- العيد: سلامات هارى رايا: ٣٧

٩- ديك وحبتان من اليوسفى : ٤٢

١٠- الشعب المطيع: ٤٧

١١- سارس يا هووه: ٥١

١٢- دعوة إلى حديقة الحيوان: ٥٧

١٣- حديقة الشاطئ الغربى: ٦٧

١٤- البوتانيكال جاردن: ٧٣

١٥- الأوركيد يا بيه؟: ٨١

١٦- شجرة كريسماس فرعونية: ٨٣

١٧- دعوة إلى حفل موسيقى: ٨٧

١٨- إيست كوست بارك: ٩١
١٩- ابتسم أنت فى سنتوزا: ٩٣
٢٠- بوكتيما ناتشر بارك: ٩٧
٢١- حديقة الطيور: ١٠١
٢٢- زيارة إلى مول سنغافورى: ١٠٧
٢٣- اقترب وذق السوشي اللذيذ: ١١١
٢٤- و من الأكلات السنغافورية الشهيرة: ١١٣
٢٥- "ساتيه" كفتة بالعسل!! : ١١٥
٢٦- فى بيت صديقتى السنغافورية .. بوبيا بالعسل الأسود: ١١٩
٢٧- حريق فى فمى!! : ١٢٣
٢٨- ياصديقى أنت مدعو: ١٢٧
٢٩- البحث عن النصف الأخر:..... ١٣١
٣٠- تاكسى من فضلك: ١٣٣
٣١- أتوبيس السعادة: ١٣٧
٣٢- سر الستة مليون: ١٣٩
٣٣- مهرجان الأشباح الجائعة من ١٩ أغسطس و حتى ١٦ سبتمبر: ١٤٣
٣٤- مهرجان وسط الخريف من ٢٤١-٣٠ سبتمبر: ١٤٥
٣٥- المهرجان الهندى (نافارا سيري) : ١٤٧
٣٦- مهرجان الفوانيس: ١٤٩
٣٧- (مهرجان الديافالى) ١٥١
٣٨- (فيساك داى) عيد ميلاد بوذا : ١٥٣
٣٩- مهرجان فن الرمليات:..... ١٥٥

٤٠- كل شئ مدروس!! : ١٥٧
٤١- تسونامى: ١٥٩
٤٢- البلاء قبل وقوعه: ١٦١
٤٣- النجدة: ١٦٣
٤٤- لأنها صغيرة: ١٦٥
٤٥- روح واحدة : ١٦٧
٤٦- اللون الأخضر.. نعمة أم نقمة!! : ١٦٩
٤٧- يا له من أخضر!! : ١٧٣
٤٨- من الديانات فى سنغافورة : ١٧٧
٤٩- لا تخدش فناء المدرسة!! : ١٨٣
٥٠- متفرقات سنغافورية: ١٨٧
٥١- لن أقول وداعا: ١٩١